وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

تاريخ الجزائر الحديث من خلال كتاب "تحفة الكبار في أسفار البحار" لحاجي خليفة

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالب:

- عبد الجليل مرينيزة

بإشراف الأستاذ:

د/ نصيرة نواصر

نوقشت وأجيزت علنًا بتاريخ:2025/06/16

أمام اللجنة المكونة من الأساتذة

الرتبة	الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
د/	رحيمة بيشي	جامعة غرداية	رئيسا
د/	نصيرة نواصر	جامعة غرداية	مشرفا ومقررًا
د/	بكار دهمة	جامعة غرداية	مناقشا

السنة الجامعية:1445-1446هـ/ 2024- 2025 م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

تاريخ الجزائر الحديث من خلال كتاب "تحفة الكبار في أسفار البحار" لحاجي خليفة

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالب:

- عبد الجليل مرينيزة

بإشراف الأستاذ:

د/ نصيرة نواصر

نوقشت وأجيزت علنًا بتاريخ:2025/06/16

أمام اللجنة المكونة من الأساتذة

الرتبة	الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
د/	رحيمة بيشي	جامعة غرداية	رئيسا
د/	نصيرة نواصر	جامعة غرداية	مشرفا ومقررًا
د/	بكار دهمة	جامعة غرداية	مناقشا

السنة الجامعية:1445-1446هـ/ 2024- 2025 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــداء

أهدي هذا العمل الذي تم إنجازه بعون الله تعالى

إلى من كان دعاؤها سر نجاحي، وحنانها بلسم جراحي

إلى أغلى الحبايب **أمي الحبيبة"**

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار،

إلى من علمني العطاء بدون انتظار،

إلى **أبي الغالي**

إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء

إلى كل أساتذتي من الطور الابتدائي إلى الطور الجامعي دون استثناء

إلى كل من وسعهم قلبي ولم يسمهم قلمي

إلى كل من يعرف "عبد الجليل".

شـكر وعرفان

الحمد لله على أن أنعم وسهل وأرشد فله الحمد كله وله الشكر

كله على ما توصلنا إليه

وبعد:

أتقدم بالشكر الجزيل ووافر الامتنان والعرفان مع فائق الاحترام والتقدير

للأستاذة المشرفة الدكتورة: "**نصيـرة نـواصـر**"

على قبولها الإشراف على الموضوع ،

حيث لم تبخل علي بتوجيهاتها ونصائحها السديدة

– حفظكِ الله ورعاكِ وجعلكِ منارةً للعلم –

والشكر موصول إلى لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة عملنا هذا.

كما لا يفوتني أن أُعبر عن بالغ تحياتنا

إلى كل من ساعدنني من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا البحث

كما أتقدم بخالص الشكر إلى الأساتذة الكرام

أعضاء الهيئة التدريسية في قسم التاريخ

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
إش	إشراف
تق	تقديم
تح	تحقيق
تص	تصدير
ت	ترجمة
تق	تقديم
تر	ترجمة
ج	جزء
د ت	دون تاريخ
ص	صفحة
ص ص	الصفحة
ط	الطبعة
ع	العدد
م	ميلادي
مج	مجلد
هـ	هجري

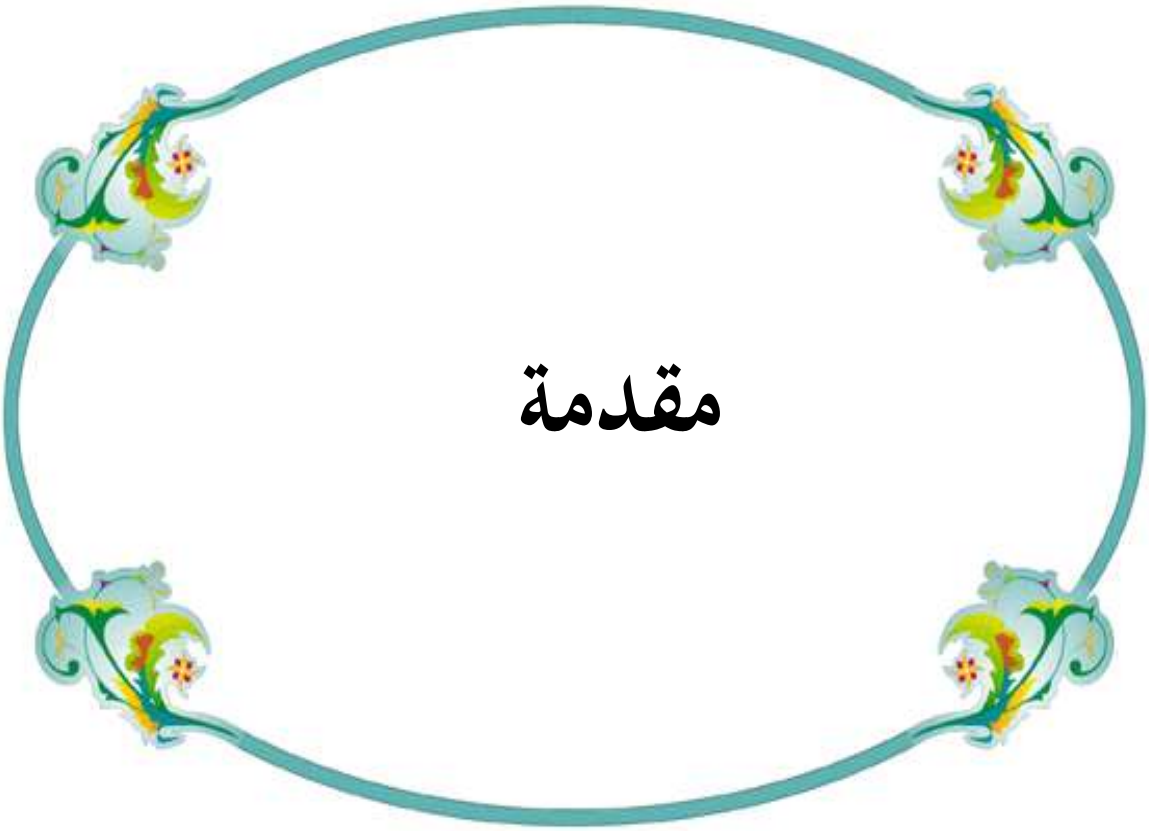

مقدمة

عرف القرن (16م) نشاطًا واسعًا للبحرية الجزائرية أخذت تمتد نشاطها شرقًا صوب سواحل الشام وصولاً إلى السواحل العثمانية، الأمر الذي تزامن مع التغير الذي طرأ على السياسة العثمانية وتوجهاتها نحو الولايات العربية، لاسيما منذ عهد السلطان سليم الأول (1512-1520م)، الذي عمل على بناء قوة بحرية يستطيع من خلالها انتزاع السيادة البحرية من الدول الأوروبية في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

وقد برز البحاران الأخوين بربروسا عروج وخير الدين، اللذان كانا يملكان أسطولاً قويًا متخذين من ميناء جيجل الجزائري قاعدة لنشاطهما البحري. وقد أثار هذا النشاط البحري اهتمام المؤرخ العثماني (حاجي خليفة (1608-1656م) في القرن السابع عشر، الذي ألف كتابا مهما في تاريخ البحرية العثمانية الموسوم بـ "تحفة الكبار في أسفار البحار".

وفي هذا الإطار جاء موضوع بحثنا بعنوان: "**تاريخ الجزائر الحديث من خلال كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار لحاجي خليفة**".

1- أهمية البحث:

يعد كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار من أهم المصادر التي درست وأرخت للبحرية العثمانية ونشاطها في حوض البحر الأبيض المتوسط، وقد أفرد حاجي خليفة صفحات كثيرة للكلام عن نشاط البحرية الجزائرية، بحيث سنقوم بدراسة حضور البحرية ودورها في الإستراتيجية العثمانية من خلال ما ورد في هذا الكتاب لتشكيل الصورة التاريخية لنشاط البحرية الجزائرية في القرن (16م).

2- أهداف البحث:

يهدف البحثة إلى تحقيق جملة من الأهداف منها:

- التعرف على شخصية حاجي خليفة وأهدافه من تأليف الكتاب.
- إبراز العلاقة بين الجزائر ومحتوى الكتاب.
- تسليط الضوء على دور البحرية الجزائرية في السياسة البحرية العثمانية.

3- حدود الدراسة:

تتمثل حدود الدراسة في الآتي:

- **الحدود الزمانية:** ينحصر موضوع الدراسة خلال القرنين 10-11هـ/ 16 ومنتصف القرن 17م.
- **الحدود المكانية:** تتمثل في المناطق البحرية التي كانت تحت النفوذ العثماني في البحر الأبيض المتوسط، كما يتناول جغرافية المماليك الأوروبية المحيطة بالدولة العثمانية مثل البندقية وإسبانيا وفرنسا.
- **حدود الموضوع:** أما عن الحدود الموضوعية هي تبحث حضور البحرية الجزائري ودورها في الإستراتيجية العثمانية.

4- أسباب اختيار الموضوع:

تقف وراء اختيارنا لهذا الموضوع جملة من العوامل بعضها ذاتية، والأخرى موضوعية فالدوافع الذاتية: الرغبة الشخصية في التعرف على المؤرخ الكبير حاجي خليفة وبكتابه الذي يُعد من أهم المصادر التي درست وأرخت للبحرية العثمانية ونشاطها في حوض البحر الأبيض المتوسط. أما الدوافع الموضوعية فهي كالآتي: الكشف عن دور البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر ودورها في السياسة البحرة العثمانية من خلال ما ورد في كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار..

5- الإشكالية:

تمثلت في التساؤلات التالية:

ما موقع الجزائر في كتاب "تحفة الكبار في أسفار البحار"، وكيف تناول حاجي خليفة حضورها الجغرافي والعسكري ضمن إستراتيجية الدولة العثمانية البحرية؟.

وتتفرع عن الإشكالية الرئيسية التساؤلات الفرعية التالية:

- ما هو حاجي خليفة؟

- الدور الجغرافي للجزائر كما ورد في كتاب "تحفة الكبار في أسفار البحار" لحاجي خليفة؟.
- كيف وصف حاجي خليفة الحضور العسكري للجزائر في البحار ضمن كتابه؟
- ماهي الإستراتيجية البحرية للدولة العثمانية التي تمثلها الجزائر وفقا لحاجي خليفة؟
- هل تناول حاجي خليفة في كتابه الأحداث أو الحوادث البحرية التي شاركت فيها الجزائر؟

من خلال بحثنا عن الدراسات السابقة المشابهة لموضوع الدراسة، نجدها نادرة ومن الدراسات التي عثرنا عليها:

- دراسة بعنوان: **حاجي خليفة ومنهجه في كتابة التاريخ من خلال مؤلفيه "فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار" و"تحفة الكبار في أسفار البحار"**، لـ: رحماني فاطمة الزهراء ودراج مُحَمَّد، الدراسة عبارة عن مقال في مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، جامعة يحي فارس، المدية. هدفت الدراسة إلى تسليط الضوء على الخصائص المنهجية التي اتسمت بها كتابات العالم العثماني حاجي خليفة التاريخية، وبالأخص في كتابيه "فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخيار"، و"تحفة الكبار في أسفار البحار". الفرق بين الدراستين هي أن دراسة رحماني فاطمة الزهراء ودراج مُحَمَّد، اشتملت على تغطية شاملة للتاريخ العام، من بدء الخليقة حتى القرن السابع عشر، مع تركيز على تاريخ الدولة العثمانية، الأحداث السياسية، العسكرية، والعلاقات الدولية، أما دراستنا الحالية في تركز على جوانب محددة من تاريخ الجزائر الحديث، مثل التأثيرات العثمانية، الصراعات البحرية.
- دراسة بعنوان: **البحرية الجزائرية في القرن السادس عشر من خلال كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار لكاتب جلبي (1608–1656)**، لدكتور هشام سوادي هشام، وهي عبارة عن مقال في مجلة دراسات تراثية، جامعة الجزائر 02، تناولت الدراسة البحرية الجزائرية في القرن السادس عشر من خلال تحليل كتاب "تحفة الكبار في أسفار البحار" لحجي خليفة، حيث استعرضت الأوضاع البحرية والسياسية في تلك الفترة وتأثيرها على تاريخ الجزائر. الفرق بين الدراستين هي أن دراسة الدكتور هشام سوادي هشام تركز بشكل خاص على البحرية الجزائرية

في القرن السادس عشر، مستخدمة كتاب "تحفة الكبار في أسفار البحار" كمصدر أساسي لفهم تطورها ودورها خلال تلك الفترة، في حين تناول موضوعنا تاريخ الجزائر الحديث بشكل أوسع من خلال نفس الكتاب ومقارنة مع ما ورد في بعض الكتب الأخرى.

6- المنهج المتبع:

اتبعنا في دراسة لهذا الموضوع المناهج التالية:

- المنهج التاريخي التحليلي: استخدمناه بهدف قراءة وتحليل فصول الكتاب التي تناول البحر الأبيض المتوسط والحروب البحرية والقادة والأساطيل والتعرف على الأحداث التاريخية التي ذكرها الكتاب.
- المنهج الوصفي: واستخدمناه لوصف ملاحظات حاجي خليفة التي سجلها عن الجزائر.

7- صعوبات البحث:

أثناء إنجاز البحث واجهتني صعوبات أهمها قلة الدراسات السابقة المشابهة للموضوع، بالإضافة إلى قلة المصادر المساعدة رغم أهمية كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار"، إلا أن المصادر والمراجع التي تشرح أو تفسر بعض الأحداث تكون محدودة أو غير متوفرة بسهولة، مما يفرض عليا الاعتماد بشكل كبير على التفسير الشخصي أو مقارنة مصادر متعددة، مع العلم أنه تم تغيير عنوان البحث من طرف الإدارة في الآونة الأخيرة، مما نجم عنه ضيق الوقت.

8- هيكلة البحث:

قصد الإجابة على الإشكالية والأسئلة الفرعية قسمنا بحثنا إلى مقدمة، وثلاثة فصول وخاتمة. ففي المقدمة عرفنا بالموضوع، أما الفصول فكانت كالآتي :

الفصل الأول بعنوان المؤلف والكتاب، تطرقنا فيه لترجمة المؤلف الكتاب حاجي خليفة وفكره الإصلاحي، وإلقاء نظرة عامة على التاب وتقسيماته وأهدافه من تأليف الكتاب.

الفصل الثاني: كان حول الجغرافيا البحرية العثمانية والجزائر، حيث قمنا بتحليل المعلومات الجغرافية الواردة في الكتاب عن سواحل شمال إفريقيا، ومع الجزائر في خرائط الكتاب ضمن وصف

البحر الأبيض المتوسط، وإلى دور الجزائر والاسطول العثماني، وكذا دور الجزائر في الحملات البحرية ودورها كقاعدة متقدمة ضد الأساطيل الإسبانية والفرنسية وتأثير ذلك على بنية الأسطول العثماني كما وصفه حاجي خليفة.

الفصل الثالث: تطرقنا فيه إلى تحليل ونقد، من خلال تقييم مدى حضور الجزائر في الكتاب ومقارنته بدورها الفعلي في التاريخ البحري العثمانية من خلال مصادر تاريخية أخرى.

وخاتمة تضمنت أهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها، بالإضافة إلى ملاحق نأمل أن تخدم موضوعنا.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة من قريب أو بعيد، وساندني في إنجاز هذا العمل، حيث أتوجه بخالص الشكر إلى الأستاذة المشرفة الدكتورة "**نصيرة نواصر**" التي لم تبخل عليَّ بتوجيهاتها.

الفصل الأول:

المؤلف والكتاب

المبحث الأول: ترجمة حاجي خليفة وفكره الإصلاحي

المبحث الثاني: نظرة عامة على الكتاب وتقسيماته

المبحث الثالث: أهدافه من تأليفه

من خلال هذا الفصل الموسوم بـ "المؤلف والكتاب، نتطرق لترجمة مؤلف كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار؛ حاجي خليفة، معتمدين في ذلك على ترجمته هو لنفْسه في كتبه "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" في مقدمة كِتَابه، وكذا "سُلم الوصول إلى طبقات الفحول"، في نهايته، بالإضافة إلى كتاب "فذلكة أقول الأخيار في علم التاريخ والأخبار"، وكتاب "تحفة الكبار في أسفار البحار"، والاستعانة ببعض المصادر والمراجع التي ترجمت له، ثم نستعرض نظرة عامة على الكتاب وتقسيماته، ثم نتعرف على أهداف المؤلف من تأليف.

المبحث الأول: ترجمة حاجي خليفة وفكره الإصلاحي

لحاجي خليفة مكانة مميزة في تاريخ الفكر العثماني في القرن (17م)، عاش في عهد السلطان مصطفى الثاني والسلطان مراد الرابع، وعايش أزمات الدولة، واشترك في حملات شرق الأناضول، ولم يتمكن من الاشتراك في حملة بغداد بسبب مرضه، بعد ذلك شغل نفسه تمامً بالعلم[1].

أولاً: مولده ونشأته

كاتب جلبي أو حاجي خليفة، كما يُعرف بلَقَبَيْه المختلفَين، هو واحد مِن أبرز علماء المسلمين في القرن (11 هـ/17م)، أصل اسمه مصطفى، واسم أبيه عبد الله، وهو يكتفي على غير العادة بذكر اسم والده فحَسْب[2]، الشهير بين علماء البلد بكاتب جلبي، وبين أهل الديوان بحاجي خليفة[3] وكلمة خليفة في المصطلح العثماني تعني آمر القلم ورئيسه، وهو حين يعرف بنفسه يقول إنه حنفي المذهب إشراقي المشرب، وقد وُلد – حسبما ذكرتُه والدتُه– في شهر ذي القعدة عام 1017هـ (فبراير/

---

[1] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، تح وتر: مُحَمَّد حرب وتسنيم حرب، ط1، دار البشير لثقافة والعلوم، د ب، 1438هـ/ 2017م، ص 13.

[2] أحمد عبد الوهاب الشرقاوي: **الأعلام، العثمانيون مختارات من كتاب "سُلم الوصول إلى طبقات الفحول" لـ "حاجي خليفة"**، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، 1440هـ/2019م، ص13، 16.

[3] حاجي خليفة: **سُلم الوصول إلى طبقات الفحول**، إش وتق: كمال الدين إحسان اوُغلى، تح: محمود عبد القادر الأرناؤوط، ط1، شركة يلدز للنشر والإعلام، مج3، اسطانبول، 2010م، ص447.

شباط 1609م) في مدينة اسطانبول، حيث كانت دارُه أيضًا، وهو بحسب قوله قُسْطَنْطِيني المولد والدار[1]، مؤرخ، بحاثة تركي الأصل مستعرب [2].

كان والده عبد الله يشتغل في قِسم الـ (أندرون) [3]، بالسراي السلطان العثماني، ثم خرج منه بوظيفة مُلحق بزُمرة السلحدارية[4]، وكان حسب ما ورد في كتاب سُلم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجي خليفة قانعًا بتلك الوظيفة، ووصفه بأنه كان رجلاً صالحًا ملازمًا لمجالس العلماء والمشايخ، مصليًا، عابدًا في الليالي[5].

أما عن نشأته العلمية فإن المؤلف حاجي خليفة يُصرح بأن أولى العوامل التي أثرن في توجيهه نحو محبة العلم ومجالسة العلماء، كان من خلال ما غزره والده فيه منذ نومة أظفاره، وعلى الرغم من أنه كان لديه ميلاً طبيعيًا لتحصيل العلم وأنّ والده كان حريصًا على الدفع به في هذا الطريق، إلا أنه لم ينتظم في إحدى مدارس الدولة الرسمية حتى يمكنه أن يسلك إمّا طريق التدريس أو القضاء في الدولة، فيصير من علماء الدولة الرسميين، والحقيقة أن والده كان سلحداريًا في الجيش العثماني، كان يرغب في أن يُعدّ ابنه لينال وظيفة مرموقة في الجيش بحسب القانون الذي كان معمول به آنذاك، فاكتفى بتوفير سبيل تلقي ابنه علوم عصره الأولى من خلال الدروس الخاصة، وذلك حتى انتقل للعمل بجانبه[6].

---

[1] أحمد عبد الوهاب الشرقاوي: المرجع نفسه، ص16.

[2] خير الدين الزركلي: **الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمُستعربين والمستشرقين**، ط15، ج7، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، أيَّار/ مايو 2002م، ص236.

[3] **الاندرون:** هو القسم الداخلي في السراي العثماني، وبمثابة المدرسة التي تقوم في إطار نظام محكم على تنشئة فئات مختلفة ممن سيعملون في وظائف الدولة. أحمد عبد الوهاب الشرقاوي: المرجع السابق، ص16.

[4] **السلحدارية:** مجموعة من كبار الضباط الذي يحتفظون بأسلحة السلطان في القصر، ويحملونها له عند خروجه إلى الحرب. أحمد عبد الوهاب الشرقاوي: المرجع نفسه، ص17.

[5] حاجي خليفة: **سُلم الوصول إلى طبقات الفحول**، المصدر نفسه، ص447.

[6] حاجي خليفة، **فذلكة أقول الأخيار في علم التاريخ والأخبار "فذلكه التواريخ" تاريخ ملوك آل عثمان**، حقق وقدم له وترجم حواشيه: سيد مُحَمَّد السيد، جامعة جنوب والوادي ،كلية الآداب، سوهاج، مصر، د ت، ص21-22.

لما بلغ سن الخامس أو ست سنوات (1022-1023هـ/ 1611-1612م)، غيّن له والده معلمًا لتعلم القرآن والتجويد وهو الإمام "عيسى خليفه القريمي"، فقرأ منه القرآن العظيم والمقدمة الجزرية في التجويد وشروط الصلاة؛ وتعلم قراءة التصريف والعوامل على الإمام "إلياس خواجة"، وتعلم الخط من الخطاط المعروف "ببوكري أحمد جلبي".[1] ولما بلغ سنة الرابعة عشر (1032هـ/1632م)، التحق بوالده في الديوان، ليصبح بذلك مساعدا في قلم محاسبات الأناضول أحد أقلام الديوان الهمايوني[2]، الأمر الذي سمح له بتعلم قواعد الحساب وخط السياقة والأرقام[3].

بعد ذلك خدم حاجي خليفة في الجيش العثماني منذ أن كان عمره 14 عاما، حيث تولى عدّة مناصب عسكرية وإدارية، وشارك في العديد من الحلات العسكرية في مناطق مختلفة من العراض ضد الصفويين في السنوات التالية (1626، 1630، 1635م)، كما شارك في قمع التمردات التي اندلعت في أرضروم وديار بكر سنة 1628م[4].

بعد أن أتم حاجي خليفة خدمته في الجيش، كرس حياته للعلم، واشترى بكل الأموال التي ورثها كتبا، وبدأ في تدوين أسماء الكتب التي رآها في حوانيت الكتب عندما كان في حلب[5]، وكان لحاجي خليفة شغفا زائدا بكتب التاريخ والتراجم والطبقات، فأتم قراءاتها كلها، بالإضافة إلى قراءاته لكتب الطب والجغرافيا وغيرها، الأمر الذي جعله يؤلف العديد من المؤلفات، وترجمة بعض المؤلفات اللاتينية إلى اللغة التركية[6].

---

[1] حاجي خليفة، **فذلكة أقول الأخيار في علم التاريخ والأخبار "فذلكه التواريخ"** ..، مصدر سابق، ص17.

[2] **الديوان الهمايوني**: هو الهيئة التنفيذية العليا التي تتولى إدارة شؤون الدولة في شتى المجالات تحت رئاسة الصدر الأعظم.

[3] مُحَمَّد دراج: "قراءة منهجية لكتاب تحفة الكبار في أسفار البحار لكاتب جلبي"، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر 02، ع13، 2011م، ص ص 241- 256.

[4] المرجع نفسه، ص 242.

[5] رحماني فاطمة الزهراء، دراج مُحَمَّد، "حاجي خليفة ومنهجه في كتابة التاريخ من خلال مؤلفيه "فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار" و"تحفة الكبار في أسفار البحار"، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، جامعة يحي فارس، المدية، مج 01، ع 02، أكتوبر 2020، ص04.

[6] حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مج1، تصحيح: مُحَمَّد شرف الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت، ص15.

حيث درس في عام 1049هـ على يد عبد الله الكردي بآيا صوفيا، وفي عم 1050هـ درس على يد كجى مُحَمَّد أفندي في جامع السليمانية، وفي عام 1052هـ، قرأ كتاب نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر للعسقلاني على يد واعظ ولي أفندي، مكا بدأ دروس النخبة والألفية على نفس الشيخ، وفي غضون عامين اتم أصول الحديث.

كما قرأ حاجي خليفة كتاب تلخيص المفتاح على يد المولا ولي الدين مفتي أرمنآق، وكتاب الفرائض للإمام سراج الدين مُحَمَّد، وكتاب الشمسية الخاص بعلم المنطق لكاتبي، كما شارك حاجي خليفة في دروس الشيخ سري الدين أبو الرضا المصري الذي وفد إلى استانبول عام 1057هـ، وظل حاجي خليفة يقرأ الكتب ويدرس طيلة عشر سنوات ليل نهار دون أن يمل أو يصبه الكلل، وخلال تلك الفترة كان يأتيه الطلا لينهلوا من علمه، وفي عام 1055هـ قرأ الكتب التي تتناول علم الخرائط، وذلك بمناسبة خروج الجيش لحملة كريت في نفس العام، وفي تلك الأثناء ساءت العلاقات بينه وبين رئيس كتاب المقابلة؛ الأمر الذي جعله يقدم استقالته من هذه الوظيفة، بعد ذلك عاش حاجي خليفة مدة ثلاث سنوات منزويًا بعيدًا عن حياة الوظيفة، ومرض في تلك الأثناء فقرأ كتب علم الطب، وخاصة كتب الأسماء والخواص، وذلك لإيجاد علاج لنفسه من ناحية ومعرفة تلك العلوم من ناحية أخرى، فابتعد عن الناس وتقرب إلى الله لأنه كان يثق بأن الشفاء سيكون بالدعاء الخارج من القلب الطاهر[1].

وفي عام 1057هـ درّس كتب شرح الأشكال في الهندسة وكتاب المحمدية لعلي قوجي في الحساب لمولانا مُحَمَّد بن أحمد الرمي، كما اكتشف قاعدة استخراج التقويم من الزيج، وفي عام 1058هـ كتب حاجي خليفة كتاب تقويم التواريخ، وبسببه توسط له شيخ الإسلام عبد الرحيم أفندي لدى الصدر الأعظم قوجه مُحَمَّد باشا؛ ليعينه في منصب (رؤوس الكاتب الثاني) بالرغم من معارضة كاتب جلبي لهذا الأمر، فقد كان عبد الرحيم أفندي هذا صديقه وكاتم أسراره، فكان

[1] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص 18.

يتحدث معه في شؤون الدولة، وكان يستشيره في الأمور المختلفة حتى أنه أصدر فتوى بأن كتاب ميزان الحق لحاجي خليفة كتاب مفيد[1].

حظي حاجي خليفة باهتمام العلماء المسلمين مبعثه ذلك الأثر البيبلوغرافي الذي حرره باللسان العربي، فقد رفع مكانته علماء الغرب لأسباب عديدة، حتى وصفه بعضهم بأنه "سيوطي العثمانيين"، وترجموا العديد من آثاره إلى عدد من اللغات الأوروبية، بالإضافة إلى وصفه بأنه "خاتم المتقدمين" و"رئيس المتأخرين"، نظرًا لإحاطته بالعلوم الشرقية وبالفنون الغربية، كما اعتبر ممثلا للفكر التركي الحر في القرن (17م)، وأول من حاول هدم الحواجز بين العلوم الغربية والعلوم الشرقية، فكان في طليعة من بدأوا عملية الاتصال العميق بالعلوم الغربية في الدولة العثمانية[2].

لقد كان لعدم تمكن حاجي خليفة من الدراسة في مدارس الدولة الرسمية، دور مؤثر في مخالفته لمواقف علماء عصره الرسميين حول كثير من القضايا، حيث راح ينقد آرائهم بكل جرأة، كما كان لاطلاعه على أوضاع الدولة المتردية في الداخل وعلى جبهات القتال أثر واضح في نقد أحوالها، فكانت التي ألفها ترجمة صريحة لتوجهه النقدي سواء للأفكار التي تبناها العلماء الرسميين أو للأوضاع العامة للدولة[3].

كان تفاعل حاجي خليفة مع وقائع الدولة العثمانية خلال مرحلة "المخاض" ممثلاً لعصره أصدق تمثيل، ومعبرًا عمّا مر به من أزمات أبلغ تعبير، وكانت الدولة العثمانية قد تعرضت لتغييرات عميقة منذ النصف الثاني من القرن (10هـ/ 16م)، هزت بعمق القواعد التي قامت عليها بنيتها الأساسية، حيث اعتلى عرش الدولة بعد سليمان القانوني (926-974هـ/1520-1566م) سلسلة من السلاطين الضعاف الذين قصرت خبراتهم في الحكم والسياسة، فقعدوا عن مباشرة شؤون

---

[1] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص 18.

[2] حاجي خليفة، **فذلكة أقول الأخيار في علم التاريخ والأخبار**...، مصدر سابق، ص18.

[3] نفسه، ص ص 18-19.

الدولة الداخلية والخارجية، وتقاعسوا عن الخروج على رأس الحملات العسكرية، وسلبت من أيديهم السلطة الحقيقية، فراح يتنازعها وزراء الدولة ورجال السراي ونساء الحرم السلطاني، فاضطرب النظام الإداري والعسكري في البلاد، واختل الوضع السياسي والإقتصادي والمالي والاجتماعي العام في الدولة[1].

وهكذا، شهد "كاتب جلبي" وقائع عصور ستة من سلاطين آل عثمان خلال القرن (11هـ/ 17م) مثلت فترات حكمهم مرحلة المخاض العثماني من القوى إلى الضعف؛ فعاصر إرهاصات التغيير الذي طرأ على مختلف مؤسسات الدولة منذ أواخر عهد أحمد الأول (1012-1026هـ/ 1603-1617م)، وتفتحت عينه على الأزمة التي مرت بها السلطنة خلال فترتي حكم مصطفى الأول (1032-1042هـ/1623-1632م)، ومُحَمَّد الرابع (1058-1098هـ/1648-1686م)، أو معتلين عقليًا كمصطفى الأول وإبراهيم الاول (1049-1058هـ/ 1640-1648م)؛ وعاش آثار زيادة نفوذ نساء وأغوات السراي وسطوة الوزراء وجند الدولة، وتأجج الفتن والدسائس بينهم، وتدخلهم في شؤون الحكم، ووأدهم محاولة السلطان الشاب عثمان الثاني للقبض على مقاليد الأمور في البلاد وإصلاح نظمها، وخروج بعض فرق جند المركز والولايات وبعض الأمراء على سلطة الحكومة؛ وتابع ارتكاس الأوضاع في أنحاء الدولة بع وفاة مراد الرابع (1049هـ/1640م)، وتفشي حالة الفساد وانتشار المحسوبية والرشوة، واشتعال الدسائس في مختلف المؤسسات خلال عهدي إبراهيم الأول ومُحَمَّد الرابع (1049-1098هـ/ 1640-1687م)[2].

وإذا كانت متابعة ومشاهدة كل هذه الأحداث الجسام في مركز الدولة قد تيسرت لمؤرخنا "كاتب جلبي" الإسطنبولي المولد والنشأة والوفاة، فعاش الآثار التي نتجت عنها في الداخل حتى وصله شرر لظاها أثناء عمله في إحدى أقرم الديوان، فقد أتاح له اشتراكه في حملات الدولة

---

[1] حاجي خليفة، **فذلكة أقول الأخيار في علم التاريخ والأخبار**..، مصدر سابق، ص16.

[2] المصدر نفسه، ص ص 16-17.

العسكرية أيضًا رؤية آثار عوامل الاضطراب تلك بأم عينه في جبهات القتال، فشاهد كيف ينهار الجيش العثماني بعيدًا عن القيادة الحكيمة الواعية، وكيف انتقلت آثار التغيير التي طرأت على مؤسسات الدولة من الداخل إلى الخارج، فطان لذلك كله أثره المباشر أو غير المباشر على سيرة حياته عمومًا وعلى نتاجه العلمي بصفة خاصة[1].

ثانيًا: فكره الإصلاحي

اهتم حاجي خليفة بحكم مسؤوليته كعالم ومؤرخ وخبير بالشؤون الإدارية والمالية في الدولة العثمانية بالخلل الذي شهدته مختلف مؤسسات الدولة من النصف الثاني من القرن (16م)، ووظف الكتابة التاريخية لتشخيص الأزمات والدعوة إلى إصلاح المؤسسات الإدارية والمالية والعسكرية.

فقد توقف عند مظاهر أزمة المركز العثماني، واعتمد نظرية ابن خلدون في تشخيص واقع الدولة التي ظهرت فيها علامات الانحراف، وعلى قوتها آثار الاختلاف...، حتى أصبحت تعيش زمان التوقف والانحطاط...، ووصلت مرحلة الهرم المؤدي إلى الموت، وأكد على ضرورة البحث عن العلاج وإصلاح مؤسسات الدولة قبل فوات الأوان[2].

1.التاريخ مدخل أساس لإصلاح نظم الدولة:

أكد حاجي خليفة أن التاريخ مدخل أساسي من مداخل إصلاح الدولة، لأن دراسة التجارب التاريخية الناجحة في التاريخ العثماني أو التاريخ العالمي كفيلة باستنباط حلول مناسبة لمعالجة الخلل الذي شهدته مؤسسات الدولة[3] وطرح تصوره هذا بالتفصيل في مؤلفيه: "تقويم التواريخ وفذلكة أقول الأخيار"، ونسج على منواله من جاء بعده من المؤرخين ومنهم إبراهيم متفرقة وذلك من خلال

---

[1] حاجي خليفة، **فذلكة أقول الأخيار في علم التاريخ والأخبار**..، مصدر سابق، ص 17.

[2] عبد الحي الخليلي: **علماء الإصلاح بالعالم الإسلامي: حاجي خليفة (1609–1657هـ/1017–1067م)**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، المملكة المغربية، ط1، 2024م، ص 698.

[3] عبد الحي الخيلي: **النخبة والإصلاح: نماذج من الفكر الإسلامي العثماني بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر الميلاديين**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 2014م، ص114، 118.

تصديره كتاب "تاريخ نعيما"، وفي رسالته: "أصول الحكم في نظام الأمم"[1]، وعبّر عن ذلك بقوله: "إن التاريخ مدخل أساس من مداخل إصلاح السلطة...، كما أن تكثير كتب التاريخ ضرورة من ضرورات التجديد والإحياء للدولة العثمانية[2].

سلك حاجي خليفة في تأريخه للدولة العثمانية منهجا علميًا دقيقًا، اعتمد فيه من جهة على الرواية التاريخية الموثوقة سندًا ومتنًا، ونقد المصادر الإخبارية التي لا تتوفر فيها الشروط العلمية والامانة في نقل الأخبار، والتي تركن إلى أقوال المنجمين، ووظف من جهة أخرى الوثائق والمستندات الغنية التي حصل عليها من عمله الإداري، وجعلها المادة الأساس في تحريره لمؤلفاته التاريخية ورسائله الإصلاحية.

كما قام باستقراء تاريخ العالم الإسلامي وتاريخ الأمم والحضارات الأخرى من أجل الاستفادة من تجاربها التاريخية في إصلاح الدولة والمجتمع، ومن أجل نجاح عملية الإصلاح في الدولة العثمانية قدّم خليفة تصورات مهمة شملت مختلف المجالات المعرفية والسياسية والعسكرية والمالية والإدارية[3].

2.تجديد وتعميم المعرفة:

يعدّ حاجي خليفة من رواد تجديد الفكر والمعرفة في الدولة العثمانية، حيث أكّد على مركزية العلم في إصلاح الدولة والمجتمع، ودعا إلى الإهتمام بالعلوم الحقة والعلوم الإنسانية، ثم الانفتاح على المعارف العالمية، وذلك لتجاوز الجمود والنقص الذي عرفه المجتمع العثماني فيما يخص العلوم والمعارف، وقد ركز في مشروعه المعرفي على ضرورة إحياء مجموعة من العلوم مثل الطب بمختلف

---

[1] إبراهيم متفرقة، **أصول الحكم في نظام الأمم**، دار الطباعة العامرة، استانبول، 1144هـ/1731م، وتوجد نسخة مخطوطة منه أيضًا في خزانة نور عثمانية باستنبول تحت رقم: 3153، وصدرت بها دراسة محققة بالتركية الحديثة، ينظر:

Adil Sen, İbrahim Müteferrika ve Usûlü'l - Hikem fi Nizami'l - Ümem (Ankara : T Türkiye Diyanet Vakfı Yayınları, 1995).

ونظرًا لأهمية هذه الرسالة نُشرت لها ترجمة فرنسية في فيينا بعنوان:

, İbrahim Müteferrika, Traité de tactique, tr, Karl Emerich Alexander Reviezkyvon Revisnye, (Vienne : Trattner, 1769).

[2] إبراهيم متفرقة، **مقدمة تاريخ نعيما**، دار الطباعة العامرة، استانبول، 1281هـ، ص12، 13.

[3] عبد الحي الخليلي: **علماء الإصلاح بالعالم الإسلامي** ..، مرجع سابق، ص 699.

فروعه للبحث عن العلاج الروحي والنفسي، وتطهير القلوب والجوارح، علم الفلك الذي يساعد على فهم حقائق الكون، وعلمي الهيأة والتشريح من أجل تعميق المعرفة بالإنسان التي تقوده لمعرفة الخالق، كما دعا إلى ضرورة إعمال العقل ونبذ التعصب الأعمى ومحاربة الخرافات، وبيّن أن العلم أساس الوحدة الاجتماعية نظرا لما يوفره من إمكانية الاختلاف الذي فيه رحمة للمجتمع[1].

يعتبر حاجي خليفة أيضًا من دعاة الانفتاح على الحضارات الأخرى من أجل تحصيل المعارف والعلوم الجديدة وتعميمها في المجتمع، وقد قام بمجهود جبار من أجل ذلك، حيث اهتم بالترجمة واللّغات والرياضيات والجغرافية، وقد كان هدفه هو تغيير تصورات النخب العثمانية حول ما حملته من نظرة قديمة حول جغرافية العالم، خاصة العالم الأوروبي وأمريكا، وكان يؤمن بأن السلم والأمن شرطان أساسيان لتجديد العلوم وتعميم المعارف وتحقيق الإصلاح في أبعاده المختلفة[2].

3.الإصلاح السياسي:

بسط حاجي خليفة أهم أفكاره عن الإصلاح السياسي والمالي في رسالته الموسومة بـ "دستور العمل لإصلاح الخلل"، حيث قدّم تحليلا للإصلاح السياسي اعتمادًا على نظرية ابن خلدون، وفقا لمقاربة "علم الاجتماع السياسي"، وقال: "إن أساس اجتماع النوع البشري من أجل تأسيس الدولة والملك ينبني على أساس قانون العدل، الذي يجب أن يحكم جُل مكونات المجتمع؛ إذ لا ملك إلا بالرجال، ولا رجال إلا بالسيف، ولا سيف إلا بالمال، ولا مال إلا بالرعية، ولا رعية إلا بالعدل"، فمعيار العقل وقانون العدل يقتضي إحقاق الحق وتنفيذه وإبطال الباطل[3].

إن إقامة العدل واجتناب الظلم هو الرابط الذي يجب أن يجمع السلطة بالرعية في المركز والولايات، كما كان الأمر في زمن سلف السلطنة، وهو ما يجب العودة إليه – كما يقول كاتب

---

[1] عبد الحي الخليلي: **علماء الإصلاح بالعالم الإسلامي** ...، مرجع سابق، ص 699.

[2] المرجع نفسه، ص 700.

[3] عبد الحي الخليلي نقلاً عن : حاجي خليفة: **دستور العمل لإصلاح الخلل**، تصوير الأفكار، استانبول، 1280هـ، ص ص 123، 128.

جلبي- فالسلطان هو المسؤول الاول عن تطبيق قانون العدل، وعليه أن يتميز بالاستقامة والحزم والعدل وحسن تدبير أمور الدولة[1].

كما خلص إلى أن السلطنة وضلت مرحلة التوقف والانحطاط وهو الطور الأخير حسب النظرية الخلدونية، ودعا إلى ضرورة إصلاح مؤسسة السلطان من أجل ضمان نظام السلطنة وامتدادها، إذ قال: "فالسلطان هو خليفة، يجب أن يكون معروفا بالتيقظ والاستقامة والحق والعدل، وتنظيم أمور الجيش، واجتثاث أهل الخيانة والفساد، ويتدارك الأمر بإصلاح الخزينة والتخفيف من التبذير والإسراف، ومحاربة الظلم والتعامل بالعدل في الولايات، لتجاوز الانحراف الذي تعرفه السلطنة"[2]. ونفس المعنى أكده بعض العلماء ورجال الإصلاح أيضًا ومنهم حسن كافي الآقحصاري بقوله إن: "العدالة وحسن السياسة هي عمادُ الإصلاح السياسي، وذلك بتفويض الأمور إلى أهلها"[3].

4.الإصلاح الإداري:

توقف حاجي خليفة عند الفساد الإداري في مؤسسة الوزارة وباقي المؤسسات الإدارية والمالية، بإعتباره أحد رجال الإدارة الخبراء بخباياها، وعرض أفكاره لإصلاح الإدارة العثمانية في مؤلّفَيه: ميزان الحق ودستور العمل، وكشف النقاب فيهما عن أخطر ظاهرة تهدد الإدارة المركزية منها والمحلية، وهي ظاهرة الرشوة التي اتخذت أشكالاً عِدَّة، ومنها الهدية التي شملت كبار رجال الدولة، مثل الوزراء ورؤساء المصالح، وقد حلّل تلك الظاهرة حليلا علميا وبيّن خطورتها على بنية الإدارة والمجتمع، قائلاً إنها تؤدي إلى انعدام الكفاءة في تولي المناصب الإدارية عن طريق توظيف أصحاب المحسوبية، وتأخذ الحق من صاحبه وتعطيه لغيره[4].

---

[1] حاجي خليفة: **دستور العمل لإصلاح الخلل**، مصدر سابق، ص 136.

[2] المصدر نفسه، ص ص136-137.

[3] حسن كافي الآقحصاري، **أصول الحكم في نظام العالم**، تق: إحسان صدقي العمد، هالي للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، 1987م، ص121.

[4] عبد الحي الخليلي: **علماء الإصلاح بالعالم الإسلامي** ...، مرجع سابق، ص 701.

أما الحلول التي قدمها فقد تمثّلت في محاربة ظاهرة الرشوة لأن فيها ضررًا على المجتمع، ودعا إلى حسن تدبير الإدارة لما فيه مصلحة الدين والدولة، والعمل على اعتماد الكفاءة المهنية والأحقية في التوظيف والتعيين، وإصلاح نظام التيمار[1] ومنحه لمستحيه[2].

5.الإصلاح العسكري:

شخَّصت المؤلفات التاريخية العثمانية إشكالية الجيش وعَدَّت تدخله في السلطة، من خلال تنصيب السلاطين وعزلهم وإخفاقاته أمام الجيوش الأوروبية، أحد أسباب أزمة الدولة، وقدمت حلولاً لإصلاح هذه المؤسسة[3]. وقد أكّد حاجي خليفة باعتباره شاهد عيان على الحروب التي خاضها الجيش العثماني، بفعل مشاركته في أغلب الحملات العسكرية شرق الأناضول على ضرورة تنظيم الجيش وترتيبه واعتماد أهل الكفاءة، وتقليص أعداد الانكشارية الذين يشكلون عبئًا على ميزانية الدولة[4]، وشدّد على ضرورة معاقبة الجناة والمتمردين المسؤولين عن ضعف الدولة[5]؛ وشدد في المقابل على حُسن تدبير النفقات وترشيدها، وضبط نظام التيمار، وتجنُّب ظلم الفلاحين من قبل فرسان السباهية، ثم دعا إلى تبني التجربة الإصلاحية للسلطان أحمد الأول (1603-1617م) الذي اعتمد على العقلاء والفضلاء والخبراء في الإصلاح[6].

6.الاصلاح المالي:

اقترن الإصلاح المالي في تصورات حاجي خليفة بالإصلاح العسكري وذلك من منطلق الخبرة

---

[1] **التيمار**: هو نوع من المكافئة الترابية التي يحصل عليها كل أظهر قدرة عسكرية لخدمة الدولة العثمانية، ينظر: مُحَمَّد جمال باروت: "التحول من النظام التيماري إلى نظام الالتزام في لواء طرابلس العثماني"، مجلة أسطور للدراسات التاريخية، دورية مكمة اصدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ومعهد الدوحة، المجلد 03، العدد 02، يناير 2017م، ص ص: 50-51.

[2] حاجي خليفة: **دستور العمل لإصلاح الخلل**، مصدر سابق، ص ص124، 136.

[3] عبد الحي الخيلي، "المؤرخون العثمانيون وإصلاح الدولة دراسة من خلال المصادر التاريخية"، مجلة أسطور التاريخية، ع13، الدوحة، 2021، ص40.

[4] حاجي خليفة: **دستور العمل لإصلاح الخلل**، مصدر سابق، ص ص129، 132.

[5] حاجي خليفة، **فذلكة أقول الأخيار في علم التاريخ والأخبار..**، مصدر سابق، ص ص 12-13.

[6] عبد الحي الخليلي: **علماء الإصلاح بالعالم الإسلامي** ..، مرجع سابق، ص 702.

والتخصص في شؤون إدارة المالية والجيش، فتحت وطأة الأزمة المالية التي شهدتها الدولة العثمانية خلال القرن (17م)، قام السلطان مُحَمَّد الرابع باستشارة خبراء المالية من أجل إيجاد حلول لتلك الأزمة وتحقيق الإصلاح، وكان كاتب جلبي من بين أولئك المستشارين بوصفه متخصصًا في الشؤون المالية، لذا قدم إجابة علمية دقيقة من خلال رسالته "دستور العمل" التي ركّز فيها على ثلاثة أُسس لإصلاح مالية الدولة، هي: ضرورة التراجع عن السياسة الضريبية الجائرة بحق الفلاحين من الرعايا، وحسن تدبير الخزينة من خلال إقامة توازن بين النفقات والإيرادات، بعد أن قدَّم إحصائيات دقيقة عن اختلال التوازن بين سنتي (1564م-1650م)؛ إذ تحولت النفقات من 189.6 مليون أقجة إلى 687.2 مليون أقجة[1]، وزيادة واردات الخزينة وتقليص نفقاتها إلى حد الاعتدال ودعا السلطان إلى تدارك الأمر، والتدخل لإصلاح الخزينة بتقليص أعداد الجيش الذي يشكل عبئًا على الميزانية، واعتماد إطار تقني متخصص في الشؤون المالية، ثم التعامل بالعدل وحسن التدبير والتنظيم لما فيه مصلحة الدين والدولة[2]. وقد أعطى وصفا دقيقا لأهمية الخزينة بالنسبة للدولة بقوله: "إن النفس الناطقة للسلطنة هي السلطان، والقوة العاقلة هي الوزير، والقوة المدركة هي مقام المفتي، والقوة الهاضمة هي المعدة وهي خزينة الدولة"[3].

7.الاصلاح الاجتماعي:

استأثرت حالة الرعايا بإهتمام حاجي خليفة أيضًا، حيث حدّد أهمية التركيبة الاجتماعية في الدولة وفق منظور علم الاجتماع السياسي، وبيّن أن الهيئة الاجتماعية في الدولة العثمانية تشكلت من أربعة أركان وهم: العلماء والعسكر والتجار والرعايا[4]، وشبه تلك الأصناف كالصحة في الجسد

---

[1] حاجي خليفة: **دستور العمل لإصلاح الخلل**، مصدر سابق، ص ص123، 134. عبد الرحيم بنحادة: **بحوث ودراسات في التاريخ العثماني**، دار أبي رقراق، الرباط، المملكة المغربية، 2017م، ص61.

[2] حاجي خليفة: **دستور العمل لإصلاح الخلل**، المصدر نفسه، ص133.

[3] المصدر نفسه، ص 123، 134.

[4] المصدر نفسه، ص ص123، 128.

إذا كانت بعافية يكون البدن كذلك، وإذا أصابها المرض اختل مزاج البدن، وكذلك الشأن بالنسبة للدولة إذا أصاب هذه التركيبة الاجتماعية خلل فغنه ينعكس على نظام الدولة، وخلص إلى أن الرعايا هم قوة الدولة وقاعدتها الأساسية وأنه يجب معاملتهم بالعدل بما يقتضيه الدين والدولة والعقل والقانون، وذلك من أجل تحسين موارد الخزينة وضمان موارد قارة[1].

ومما تقدم فإن حاجي خليفة يُعد من أبرز دعاة الإصلاح في عصره، ولم يكن معارضًا صريحًا للنظام العثماني، وقد عبّر عن رؤيته النقدية لأوضاع الدولة العثمانية من خلال مؤلفاته ورسائله الإصلاحية، ناقش بجرأة أسباب تدهور الدولة، مثل الفساد المالي والإداري، وضرورة إصلاح الجيش، وإبعاد الموظفين المرتشين، وإصلاح نظام الضرائب، مستندًا إلى رؤية تاريخية عميقة أقرب إلى منهج ابن خلدون في تحليل أطوار الدول.

ولم يكتفِ حاجي خليفة بالسرد التاريخي؛ بل مارس دور المصلح الناصح، فانتقد بوضوح مظاهر الخلل في الإدارة العثمانية، واعتبر أن الدولة دخلت مرحلة ركود تتطلب إصلاحات جذرية. كان يوجه نصائحه مباشرة إلى السلطان والمسؤولين، ويحثهم على اتخاذ تدابير عاجلة لإنقاذ الدولة من الانحطاط، ولم تكن معارضته سياسية بالمعنى الحزبي أو الثوري؛ بل كانت أقرب إلى النصيحة الإصلاحية التي يقبلها النظام أحيانًا من العلماء والمثقفين، خاصة إذا جاءت في إطار الحفاظ على الدولة والنظام، لا تقويضهما[2].

من خلال كتاب "تحفة الكبار في أسفار البحار"، نجد أن حاجي خليفة اعتمد في كتابه على السرد التاريخي، كما ضمنه فصل خاص بنصائح عملية للبحارة والمهتمين بشؤون البحر، حيث دعا إلى ضرورة تحديث الأسطول، تحسين التدريب، الانضباط، والالتزام بالقوانين البحرية، مما يعكس فكره الإصلاحي وحرصه على معالجة نقاط الضعف التي لاحظها خلال الأحداث التي عاصرها، وذلك لما تضمنه الكتاب من : دعوة إلى إصلاح الإدارة البحرية وتحسين تنظيم الأسطول، والتأكيد على

---

[1] عبد الحي الخليلي: **علماء الإصلاح بالعالم الإسلامي** ..، مرجع سابق، ص 703.

[2] مُحَمَّد شعبان أيوب: "**إنقاذ مشوّه متأثر بأوروبا**".. **لماذا جلبت بعض الإصلاحات العثمانية الانقلاب في النهاية؟**، مقال منشور على موقع عربي بوست، بتاريخ 2022/10/13. www.arabipost.net ، تاريخ التصفح، 2025/06/29، الساعة: 21:06.

أهمية الانضباط العسكري والتدريب المستمر للبحارة، والتحذير من الفساد والضعف الإداري الذي يهدد قوة الدولة البحرية، والتشديد على ضرورة التعاون بين القادة والبحارة للحفاظ على سلامة السفن وتحقيق الانتصارات[1].

ثالثًا: مؤلفاته

ألف حاجي خليفة العديد من المؤلفات نذكر منها:

- **فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار، المعروف اختصارا بفذلكة التواريخ**، وهو كتاب في التاريخ العام منذ ظهور الخليقة حتى سنة 1641، ألّفه حاجي خليفة باللغة العربية ثم ترجم إلى اللغة التركية.
- **تقويم التواريخ**: وهو عبارة عن جداول مرتبة ترتيبا زمنيا ألّفه حاجي خليفة سنة 1648م، وهو يبدأ بالخليقة حتى عام 1648م.
- **فذلكة كاتب جلبي**: ويطلق عليها اسم الفذلكة التركية تمييزا عن الفذلكة العربية، وتعتبر ذيلا لفذلكة التواريخ، وترجمة مفصلة للوقائع المعاصرة منها، وهي عبارة عن سجل للوقائع صنف على حسب السنوات، وفي نهاية كل سنة يذكر ملخصا عن رجال الدولة الذين توفوا في تلك السنة والعلماء والشعراء المشهورين وأعمالهم[2].
- **ترجمة تاريخ إفرنجي**: نشر في باريس من طرف جون كاريون سنة 1548م، الكتاب مرتب على طريقة الحوليات، ترجمه كاتب جلبي بمساعدة المهتدي الفرنسي مُحَمَّد إخلاصي.
- **إرشاد الحيران إلى تاريخ اليونان والروم والنصارى**: كتاب يتناول تاريخ الدول الأوروبية.
- **سلم الوصول إلى طبقات الفحول**: كتاب في الطبقات مرتب على حروف المعجم، ألّفه كاتب جلبي باللغة العربية، ويتكون من قسمين رئيسيين: الأول تناول فيه الأعلام المشهورين بأسمائهم، وأما القسم الثاني فقد خصصه للمشهورين بأنسابهم وكناهم وألقابهم.

---

[1] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص 18.

[2] حاجي خليفة، **فذلكة أقول الأخيار في علم التاريخ والأخبار**..، مصدر سابق، ص ص 50-54.

- **جهانومة:** كتاب في الجغرافيا، حيث تضمن معلومات مهمة عن الخصائص الجغرافية والاجتماعية للمجتمعات التي قام بدراستها حاجي خليفة.
- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون:** موسوعة باللغة العربية تناول فيه كاتب جلبي التعريف بالمؤلفات العربية منذ عصر ابن النديم مؤلف كتاب الفهرست حتى عصره.
- **دستور العمل في إصلاح الخلل:** رسالة مهمة في الإصلاح الإداري والسياسي، رفعها حاجي خليفة سنة 1653م إلى السلطان مُحَمَّد الرابع (1648-1687م)، حيث تضمنت عرضا موثقا لأسباب تدهور النواحي المالية والعسكرية والإدارية في الدولة العثمانية، بالإضافة إلى الحلول التي اقترحها الكاتب لإزالة تلك الأسباب ومعالجتها[1].

المبحث الثاني: نظرة عامة حول الكتاب وتقسيماته

أولاً: نظرة عامة حول الكتاب

يصنف كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار ضمن كتب التاريخ، فبعض مؤرخي أدبيات العلوم يصنفونه أيضًا ضمن كتب الجغرافيا؛ كدليل بري وبحري، وكذلك ضمن الفكر الإصلاحي لما تضمنه ممن وصايا عقب وصف كل حملة حربية، وأيضًا في نهاية الكتاب، ويبرز دور حاجي خليفة كصاحب فكر إصلاحي في النواحي السياسية، والاجتماعية والدينية في كتابين آخرين هما: دستور العمل في إصلاح الخلل وميزان الحق في اختيار الأحق[2].

ثانيًا: تقسيماته

قسم المؤلف كتابه "تحفة الكبار من أسفار الكبار" إلى مقدمة، وجزئين، وخاتمة.

ساق في المقدمة معلومات حول جغرافية الممالك الأوروبية المحيطة بالدولة العثمانية وسواحلها، وغيرها من الواقعة على سواحل البحر الأبيض المتوسط، وبعضًا من تاريخ هذه الدول؛ لاسيما بلاد الأرناؤوط، وإيطاليا، وفرنسا، وإسبانيا.

---

[1] خالد زيادة: **اكتشاف التقدم الأوروبي: دراسة في المؤثرات الأوروبية على العثمانيين في القرن الثامن عشر**، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1981م، ص ص 27-28.

[2] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص 06.

والجزء الأول من الكتاب قسمه بدوره إلى تسعة أقسام، تناول فيها تاريخ الحملات البحرية العثمانية، وانتصاراتها، وقادتها، وربابنتها وبطولاتهم؛ وصولاً إلى حملة كريت ومشكلاتها.

ثم الجزء الثاني من الكتاب، والذي قسم أيضًا إلى سبعة أقسام تناول فيها: أحوال الأشخاص الآخرين في الترسانة والجنود المقيدين بحكم الربابنة وأنواعهم، خروج الأسطول إلى البحر للحملة وفقًا للنظم والقوانين، ثم يعرف المعركة البحرية وفق القوانين، وقسم عن أنواع سفن الأسطول المختلفة ورجاله، وسادس الأقسام حول المستلزمات الضرورية لإنشاء الأسطول، والنفقات اللازمة لإنشائه ثم يختم الكتاب بأربعين نصيحة للبحارة، تليها كلمة أخيرة.

ثالثًا: المصادر التي اعتمد عليها حاجي خليفة في الكتاب

إنّ إجادة حاجي خليفة للغة العربية واللغة الفارسية إلى جانب لغته التركية، مكنّه من الإطلاع على العديد من المصادر التاريخية، وبالتالي الاستفادة منها وتوظيفها في مؤلفاته، فقد طالع ما يقرب 1300 كتاب تاريخ بالعربية والتركية والفارسية[1].

عند التمعن في مؤلفه "تحفة الكبار في أسفار البحار" نجد قد اعتمد على العديد من المصادر التاريخية، ككتاب "تاريخ التواريخ" لخواجة سعد الدين (ت 1599م)، و"روضة الأبرار" لقره جلبي عبد العزيز (ت 1658م)، و"تاريخ فتح خانية، مرآة الممالك، كتاب بحرية" لبيري ريس (ت 1555م)، و"غزوات خير الدين باشا" لسنان جاوش وغيرها.

والجدير بالملاحظة أنّ اعتماد حاجي خليفة للمصادر التاريخية كان ممنهجا، حيث كان يميّز بين غثها وثمينها، وينتقي دررها ثم ينظمها في كتابه، فكما كان يختار أمهات المصادر العربية كانت أم عثمانية أن فارسية والتي تكون أقرب إلى الأحداث الواقعية ولها شأن كبير بين صفوف المؤرخين، كان في نفس الوقت لا يأخذ بكل ما جاء في تلك المصادر؛ بل كان يخضعها للنقد التاريخي، إذ يقارن بين الروايات على اختلافها تعددها في المصادر التي اطلع عليها ثم يحاول استخلاص الأرجح بينها

[1] حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مصدر سابق، ص15.

التي يعرضها في المتن، ولا يكتف بهذا القدر؛ بل يترك للقارئ فرصة البحث والتأكد من صحة الوقائع التاريخية التي ذكرها إلى جانب ما ذكره غيره من المؤرخين السابقين من خلال إيراد رواياتهم في الحاشية بعد ذكر صاحبها، وبالنسبة للأخبار التي لم يكن يصل فيها إلى قناعة جازمة من إحدى المصادر فإنّه ينهي كلامه "بالله أعلم"[1].

ويمكن لنا من خلال تتبع طرق استخدام حاجي خليفة للمصادر التاريخية السابقة، أن نستشف بعض الخصائص ومميزات تلك المصادر التي يمكن إجمالها فيما يلي[2]:

- تصنف أغلب المؤلفات التاريخية العربية إلى أربعة أقسام: الأنساب والتراجم والطبقات والسيرة النبوية، وتقسم الكتابات التاريخية العثمانية بدورها إلى ثلاثة أقسام هي: كتب الغزوات والفتوحات، كتب السلاطين (المناقب)، كتب التاريخ العام.
- يغلب على بعض الكتابات التاريخية السابقة لحاجي خليفة البساطة في الأسلوب، مع استخدام الألفاظ العامية والأخطاء اللغوية والنحوية .بالإضافة إلى إيراد الحوادث مختصرة في بعض الأحيان، وإيراد تفاصيل كثيرة قد تشوش على القارئ وتصيبه الأمل وأحيانا أخرى.
- أن المؤلفات العثمانية انصبت بالدرجة الأولى على مناقب آل عثمان وفتوحاتهم، وتراجم بعض سلاطينهم وولاتهم وعلمائهم.
- جاءت معلومات هذه المؤلفات متشابهة إلى حد كبير، ويندر أن تخرج عن الإطار القصصي والعسكري، ومن هنا جاءت الموضوعات الاخرى عرضية ومتقطعة.
- غياب النقد التاريخي كان صفة مشتركة بين معظم المؤلفات التاريخية.

---

[1] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص78.

[2] رابعة مزهر شاكر ومُحَمَّد عبد القادر خريسات: "الكتابة التاريخية عند العثمانيين في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الأردن، مج 41، ع 01، 2014م، ص ص70-79.

المبحث الثالث: هدف حاجي خليفة من تأليف الكتاب وأهميته

من خلال هذا المبحث نتطرق لتعرف على هدف حاجي خليفة من تأليف كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار، ثم نستعرض أهمية الكتاب.

أولاً: هدف حاجي خليفة من تأليف الكتاب

هَدف حاجي خليفة من خلال تأليف كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار حسبما ذكره في مقدمة كتابه إلى معالجة الإخفاقات التي تعرض لها الأسطول العثماني، خاصة خلال حملة كريت التي بدأت سنة (1055هـ/1646م) وما تبعها من حملات، وكانت هذه الإخفاقات ذات الأسباب الكثيرة، لها أثر سلبي انعكس على جميع المؤسسات العثمانية، وقد عايش المؤلف هذه المعاناة، فأراد أن يشارك في الإصلاح، ويرفع الروح المعنوية[1].

فأراد من خلال هذا الكتاب أن يساهم في إصلاح البحرية العثمانية عبر تقديم تحليل تاريخي للحملات البحرية، واستعراض أمجاد الأسطول العثماني، بالإضافة إلى تقديم نصائح عملية للبحارة حول كيفية تحسين الأداء البحري والتعامل مع التحديات الملاحية، فوضع ذلك الكتاب الذي تناول بعضًا من أمجاد التاريخ البحري العثماني وانتصاراته، ومحل لأسباب إخفاقات ذلك الأسطول في الوقت الحاضر، ومبينًا التدابير الواجبة لاتخاذها في علاج هذا الخلل، ومواجهة التدهور الحاصل في الأسطول العثماني، واستفاض في تقديم معلومات جغرافية وملاحية، وتاريخية، وبحرية. وختم كتابه بفصل هو نصائح للبحارة والمهتمين بشئون البحر[2].

ثانيًا: أهمية الكتاب

يُعد كتاب "تحفة الكبار في أسفار البحار" مصدراً تاريخياً وجغرافياً مهماً، يعكس أمجاد التاريخ البحري العثماني وانتصاراته، حيث ألفه عقب حملة كريت (1646م) التي عايشها بنفسه، بهدف

---

[1] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص07.

[2] المصدر نفسه، ص07.

المشاركة في الإصلاح ورفع الروح المعنوية للدولة العثمانية، وتكمن أهمية الكتاب في عدة جوانب[1]:

- توثيق تاريخي وجغرافي بحري: يقدم الكتاب معلومات مستفيضة عن الجغرافيا البحرية، والخرائط، والأساطيل، والحروب البحرية في البحر الأبيض المتوسط، مع التركيز على الدور العثماني والجزائري ضمن هذه السياقات.
- مصدر أساسي لتراث الحضارة العثمانية: يُعتبر من المصادر الأساسية التي تسلط الضوء على التاريخ والحضارة العثمانية، وهو جزء من التراث الذي يؤثر في فهم الواقع المعاصر.
- منهج إصلاحي وثقافي: حاجي خليفة، بصفته مؤرخاً وجغرافياً وببليوجرافياً، كان صاحب فكر إصلاحي سياسي واجتماعي وديني، وقد حاول من خلال الكتاب رفع الروح المعنوية وتعزيز الفخر بتاريخ الدولة العثمانية البحرية.
- تعدد اللغات والترجمات: الكتاب ألف أصلاً باللغة التركية، وترجم إلى العربية، والإنجليزية، والفرنسية، ولغات أوروبية أخرى، مما ساهم في انتشاره وأهميته العلمية والثقافية على نطاق واسع.
- تقديم نصائح عملية :ختم الكتاب بفصل مخصص لنصائح للبحارة والمهتمين بشؤون البحر، مما يدل على اهتمامه بالجوانب العملية إلى جانب التوثيق التاريخي.

بالتالي، "تحفة الكبار في أسفار البحار" ليس مجرد سجل تاريخي، بل عمل موسوعي يجمع بين التاريخ والجغرافيا البحرية، ويعكس رؤية إصلاحية وثقافية في زمن كان فيه البحر المتوسط مسرحاً لصراعات استراتيجية بين القوى الكبرى، مع إبراز دور الجزائر ضمن هذه المنظومة.

مما سبق تناولنا من خلال هذا الفصل حول المؤلف، حاجي خليفة وكتابه تحفة الكبار في أسفار البحار، هو واحد مِن أبرز علماء المسلمين في القرن (11 هـ/17م)، مؤرخ، بحاثة تركي الأصل مستعرب، الشهير بين علماء البلد بكاتب جلبي، وبين أهل الديوان بحاجي خليفة، احتل مكانة مميزة في تاريخ الفكر العثماني في القرن (17م)، عاش في عهد السلطان مصطفى الثاني والسلطان مراد

[1] هشام سوادي هاشم: "البحرية الجزائرية في القرن السادس عشر من خلال كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار لكاتب جلبي (1608-1656)"، مجلة دراسات تراثية، جامعة الجزائر 02، مج10، عد 1، 2016م، ص07.

الرابع، وعايش أزمات الدولة، واشترك في حملات شرق الأناضول، ولم يتمكن من الاشتراك في حملة بغداد بسبب مرضه، بعد ذلك شغل نفسه تمامً بالعلم.

حظي حاجي خليفة باهتمام العلماء المسلمين مبعثه ذلك الأثر البيبلوغرافي الذي حرره باللسان العربي، فقد رفع مكانته علماء الغرب لأسباب عديدة، حتى وصفه بعضهم بأنه "سيوطي العثمانيين"، وترجموا العديد من آثاره إلى عدد من اللغات الأوروبية، واهتم حاجي خليفة بحكم مسؤوليته كعالم ومؤرخ وخبير بالشؤون الإدارية والمالية في الدولة العثمانية بالخلل الذي شهدته مختلف مؤسسات الدولة من النصف الثاني من القرن (16م)، ووظف الكتابة التاريخية لتشخيص الأزمات والدعوة إلى إصلاح المؤسسات الإدارية والمالية والعسكرية.

وفي هذا الإطار جاء كتابه تحفة الكبار في أسفار البحار، ضمن كُتب التاريخ، فبعض مؤرخي أدبيات العلوم يصنفونه أيضًا ضمن كتب الجغرافيا؛ كدليل بري وبحري، وكذلك ضمن الفكر الإصلاحي لما تضمنه ممن وصايا عقب وصف كل حملة حربية، وأيضًا في نهاية الكتاب، ويبرز دور حاجي خليفة كصاحب فكر إصلاحي في النواحي السياسية، والاجتماعية والدينية في كتابين آخرين هما: دستور العمل في إصلاح الخلل وميزان الحق في اختيار الأحق.

الفصل الثاني:

الجغرافيا البحرية العثمانية والجزائر

المبحث الأول: تحليل المعلومات الجغرافية الواردة عن سواحل شمال إفريقيا

المبحث الثاني: الجزائر والأسطول العثماني

المبحث الثالث: البعد السياسي والعسكري لحضور الجزائر

يُعد كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار من أهم المصادر التي درست وأرخت للبحرية العثمانية ونشاطها في حوض البحر الأبيض المتوسط، وقد أفرد حاجي خليفة صفحات كثير للكلام عن نشاط البحرية الجزائرية في القرن (16م)، ومن خلال الفصل نستعرض الجغرافيا البحرية العثمانية والجزائر من خلال ما ورد في تحفة الكبار من أسفار البحار، بالتطرق إلى تحليل المعلومات الجغرافية الواردة عن سواحل شمال إفريقيا، والجزائر والأسطول العثماني، والبعد السياسي والعسكري لحضور الجزائر.

المبحث الأول: تحليل المعلومات الجغرافية الواردة عن سواحل شمال إفريقيا

من خلال هذا المبحث نتطرق لتحليل المعلومات الجغرافية الواردة في كتاب تحفة الكبار في أسفار للبحار عن سواحل شمال إفريقيا، حيث تناول تعيين الأماكن وتصوير الحدود الجغرافية، ووصف السواحل والتضاريس البحرية، ثم الأساطيل والفتوحات والمعارك البحرية في البحر المتوسط.

أولاً: تعيين الأماكن وتصوير الحدود الجغرافية

تناول كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار في مقدمة كتابه في الصفحة 51 تعيين الأماكن وتصوير الحدود الجغرافيا، كون هذه الأخير حسب المؤلف وحدة من الأمور اللازمة لمسؤولي الدولة، حيث قال: "إن لم يتم التعرف بأحوال الكرة الأرضية جملة؛ فلن يتم التعرف على شكل البلدان الواقعة على حدودها وفي الأطراف، ويجب العلم بها؛ لأنه عند إرسال الجنود أو الحملات إلى مكان ما، فسيتم اتخاذ التدابير طبقًا لها، كما أن التجوال في بلدان الكفار وتدابير حفظ وحماية حدودها سيكون سهلاً بتلك المعرفة المذكورة"[1].

واستدل حاجي خليفة على أهمية هذا العلم واستدل بالدليل والبرهان؛ كون الأوروبيون أولوه أهمية واكتشفوا به العالم الجديد (قارة أمريكا)، واستولوا غلى بعض المناطق من الهند.

وقد بين حاجي خليفة طريقة رسمه للخرائط لتوضيح الأماكن المراد الخروج إليها، بدءا بتقسيمه

[1] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص 51.

الكرة الأرضية إلى دائرتين، بعدها رسم البحر الأبيض والبحر الأسود في صحيفة أخرى ، ثم حدد حدود البندقية والنمسا، ليظهر أول الأمر وضع الكرة الأرضية، ليحصل لهم علم بإجمالي حدود البلدان المحروسة، وبعدها يتم الاستعداد من أجل الشروع في التدابير الخاصة بالحملات البرية والبحرية، وقام برسم كافة البحار واليابسة على الكرة الأرضية في دائرتين؛ في الدائرة الأولى نصف الأرض والربع المسكون القديم، وفي الدائرة الثانية النصف الآخر ما يطلقون عليه العالم الجديد المكتشف بعد ذلك[1].

ليستطرق المؤلف الحديث عن اكتشاف الكرة الأرضية وتوضيحها، بقوله أنها تدور في وسط الكون بواسطة الانجذاب أو الدفع، وبأن البارعون في فن الجغرافيا قد أوضحوا على الخرائط اليابسة والماء بواسطة الألوان، بينوا عليها خط دائرة الاستواء والميل الكلي، وإشارة إلى نهاية مدار الشمس في الجنوب والشمال، وذكر بأنه قام بإضافة خطوط غير هذه الخطوط تدل على المدار القطبي والدوائر الطولية والعرضية في الأصل، وتعيين موقع مكان ما على الكرة الأرضية يتوقف على حساب خاص بمعرفة الخطوط الطولية وقواعد معينة[2].

ليتطرق بعدها لتقسيمات علماء هذا الفن خريطة العالم إلى أربعة أجزاء: مضيق البحر الأبيض، مضيق البحر الأسود، ومضيق بحر آزوف، وافترضوا من شمال نهر (تن) خطًّا وهميًا يصل إلى المحيط، وأطلقوا على الأراضي الباقية في الجهة العربة منه أوروبا، والأراضي التي ظلت في شمال آسيا، كما أطلقوا على أراضي الحبشة ومصر التي يفرقهما ويفصلهما البحر الأبيض والبحر الأحمر أفريقيا، كما أطلقوا على الدنيا الجديد اسم أمريكا، وللدولة العثمانية نصيب من ثلاثة أجراء في العالم، ولما أراد أن يبين هذه الحصص بحدودها رسم الجزء الأوروبي مع البحر الأبيض والبحر الأسود في صفحة واحدة، وأشار إلى حدود الجزء، ويعتبرها بأنها تكفي لأن تكون مرشدًا عند الحاجة[3].

---

[1] ينظر الملحق رقم (2): صورة الأرض والبحار الواردة في كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار لحاجي خليفة، ص68.

[2] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص 53.

[3] ينظر الملحق رقم (3) خريطة العالم كما رسمها حاجي خليفة، ص69.

ثانيًا: وصف السواحل والتضاريس البحرية

بعد فراغه من توضيح أجزاء خريطة العالم، عرج على البحر الأبيض المتوسط بذكر أوصافه وموقعه الجغرافي والمدن والموانئ المتواجدة على ساحله، حيث وصف "البحر الأبيض بأنه أكبر البحار الستة في العالم المأهول ما عدا المحيط الأطلسي ومضيق جبل طارق بن زياد، الذي على خط الطول عند الرجة الخامس عشر، وفي الدرجة الثلاثين من الهط العرضي، حيث يمتد البحر الأبيض المتوسط غلى الجهة الشرقية حتى يصل إلى سواحل الشام حتى درجة الثلاثين من الخط الطولي، وتقع في السواحل الجنوبية منه: فاس، تلمسان، الجزائر، وتونس والمهدية وجربة، وطرابلس الشام وطرابلس الغرب وإسكندرية مصر ودمياط، وتنتهي سواحل البحر المتوسط المغربية والعربية في العريش، وفي سواحله الشرقية غزة وعكا وبيروت وطرابلس والشام[1].

ويعتبر البحر المتوسط من أهم البحار القارية، الذي تحيط به اليابسة من كل الجهات ولا يتصل بالبحار المفتوحة إلا عن طريق ممر ضيق المعروف باسم مضيق جبل طارق، كما بلغ طول هذا البحر 2000 ميلا، والذي وصلت مساحته ما يقارب 145.000 ميل مربع[2]، فالبحر الأبيض المتوسط من أكثر البحار احتضانا لثلاث أكثر حضارات العالم قوة، وشهد ثلاثة أديان كبرى، وكان إحدى أهم وسائل الاتصال الرئيسية[3].

وقد تعرض كتاب "تحفة الكبار في أسفار البحار" لوصف المضايق والبحار الصغيرة وحدد ممرات وزوايا المرور لمن يدخل البر والبر في كل من استنبول والأناضول وجزيرة كريت، جزر البندقية وسواحل ألبانيا والبوسنة وجزيرة زاكليسيا، وسواحل بلاد الأرناؤوط والجزر القريبة من هذه السواحل. وفي نفس السياق يوضح لنا المؤلف حدود الدولة العثمانية ويصف لنا الممالك الأوروبية المحيطة بها

---

[1] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص 55.

[2] يسري الجوهري، **جغرافية البحر المتوسط**، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1984م، ص09.

[3] جون جوليوس نورويش، **الأبيض المتوسط، تاريخ بحر ليس كمثله بحر**، تر: طلعت الشايب، ط1، دار الكتب المصرية، 2015م، ص17.

مثل: الكروات والنمسا، والأقاليم وموقعها ووصف القلاع المتواجدة فيها، كما ذكر مدينة البندقية وبأنها تتكون من ستين جزيرة صغيرة، وبأنها أنشئت في نهاية بحر الخليج في منطقة ذات برك، وتعلو مياهها وتنخفض في كل ست ساعات، وأصبحت الجزر التي في الجهة الشرقية والجنوبية مثل السدود تقي المدن من اقتحام البحر...، حيث يقدم المؤلف معلومات دقيقة عن الموانئ والممرات البحرية، وهو ما يجعل الكتاب مصدرًا مهما لدراسة تاريخ الملاحة العثمانية، ليواصل في وصف أسواق مدينة البندقية وأحوال الناس المعيشية فيها، ليستعرض بعدها حاجي خليفة سواحل إيطاليا وفرنسا وإسبانيا[1]. فالكتاب يستعرض البحر المتوسط كمسرح للصراعات البحرية بين القوى العثمانية والأوروبية، حيث تلعب سواحل شمال إفريقيا دورًا محوريًا في هذه الصراعات، خاصة مع توسع النشاط البحري الجزائري شرقًا نحو سواحل الشام والسواحل العثمانية.

ثالثًا: الأساطيل والفتوحات والمعارك البحرية في البحر المتوسط

تطرق القسم الأول إلى الحديث عن الأساطيل والفتوحات والمعارك البحرية، التي تمت في الماضي، التي جمعها المؤلف من كتب التاريخ، لتكون حسب رأيه قدوة ونبراس للأجيال القادمة، وقد أشتمل هذا القسم على أجزاء متعددة، حيث خصص هذا الجزء لربابنة الدولة العثمانية في أدوارها الأولى – فترة التوسع- وحملات بعض السلاطين، وقواد البحرية ومعاركهم البحرية إلى أن ظهر خير الدين باش على ساحة الأحداث. منطلقًا في إنجازات السلطان مُحَمَّد الفاتح – رحمه الله- وكيف استطاع بعبقريته فتح القسطنطينية عام 1453م[2].

بعد هذا يستطرد المؤلف في ذكر الفتوحات التي كانت بعد فتح القسطنطينية من طرف السلطان مُحَمَّد الفاتح وقادته، حيث يعرض لنا الحملات التي حصلت آنذاك، بعدها تطرق المؤلف إلى

---

[1] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص 58-61.

[2] للمزيد حول فتح السلطان مُحَمَّد الفاتح للقسطنطينية ينظر: مُحَمَّد عبد القادر الداغستاني: **النظرية العسكرية والمذهب العسكري والعقيدة العسكرية**، دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2019م، ص 252.

سبب فرض الضرائب الاستثنائية، حيث برر بأنها فرضت بسبب جنود البحر والجدافين، وبأنها قبل ذلك لم تفرض على الرعايا، وبأن هذه الضرائب سائرة في وقته وتؤخذ من الرعية سنويًّا. ليتطرق بعدها المؤلف الهدنة نتيجة عجز السفن البيزنطية عن مقاومة السفن العثمانية في البحر، وتوقفها عن محاولات الثأر، بحيث رأى البعض أفضلية الهدنة بسبب الضرائب، والاكتفاء بالدفاع عن الدولة العثمانية، وقد ظهرا في هذه الفترة اضطرابات الشيعة، كما ظهر في الشرق ملوك (إيران)، يضاف إليه تقدم السلطان (بايزيد) في السن وانزوى جانبًا، وأرخى رجال الدولة الأمور، كل هذه الأسباب فتحت الطريق إلى أن تسوء حالة الدولة، ولما اعتلى السلطان (سليم) عشر الدولة، إتجه إلى سياسة الإهتمام بالجهة الأكثر ضررًا، فأراد أن يتخلص من الشيعة الذين كانوا أكثر سوءًا من الكفار ذاتهم، كما أراد أن يستولي على بلاد الشام ومصر، فترك ناحية الكفار في هدنة، وقد عد البيزنطيين هذه الهُدنة منه لهم؛ إذ تخلصوا من مخالب العثمانيين، وكان ذلك غنيمة لهم فلم يتحركوا، ولما جاء الدور إلى السلطان (سليمان) بعدما توفي السلطان سليم، أخذ في فتح البلاد التي يلزم ضمها إلى الدولة، سواء أكانت في البر أو البحر، وهذا فتح الباب إلى الحرب في البر والبحر، وترك الهدنة التي فرضت لمصلحة الدولة في عهد آبائه، وعد فتح (رودس) أكبر آماله في الغزوة الثانية[1].

ليطلعنا المؤلف عن كيفية إعداد الأسطول في عهد السلطان سليم لفتح رودس، حيث يُورد في هذا الشأن أنه لما وصل السلطان سليم إلى استانبول بعد فتحه مصر سنة (923هـ/1517م) رأى في سنة (925هـ/1519م)، أنه يلزم أن يكون طريق البحر مفتوحًا لحمل محاصيل أقاليم البلاد إلى استانبول، فعرض الوزراء العقلاء على السلطان الذي فتح البلاد أن يستولوا على قلعة (رودس)، التي كانت مأوى القراصنة، وأخذوا يعدون الأسطول السلطاني ويجمعون جنود البحارة..[2].

ليكمل الحديث عن حملة رودس في عهد السلطان سليمان، ويخبرنا بأنه بمجرد تولي السلطان (سليمان) عرش السلطنة في سنة (962هـ/ 1520م)، أمر بصلي الربان وقائد البحرية (جعفر بك)

---

[1] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص ص 66 80.

[2] المصدر نفسه، ص 80-81.

حتى يكون عبرة للآخرين؛ إذ ثبت ظلمه ومد يده إلى حقوق الغير، وعين مكانه (بيلاق مصطفى باشا). ولما كان فتح رودس من أمور الدولة المهمة رجع من فتح بلغراد، وجاء إلى استانبول في ذل القعدة من سنة 920هـ الموافق لـ يوليو 1514م، وصدر الأمر السلطان بأن يُعد في أيام الشتاء أسطولٌ، وكل ما يلزمه من مؤن، فلما اجتمع أربعون ألفاً من الجدافين وعشرون ألفًا من جنود البحرية؛ أصبح الوزير الثاني (مصطفى باشا) أمير البحر، وخرج إلى الحملة نحو رودس ومعه 700 قطعة حربية من مختلف السفن، رفقة كم هائل من الجنود. واشتعلت نار الحرب في أواخر شوال، الموافق لـ سبتمبر 1522م، ولما يأس الكفاء في الخامس من صفر سنة 829هـ/ 26 ديسمبر 1522م طلبوا الأمان وسلموا الحسن، وأُعطوا الأمان لأرواحهم وأموالهم[1].

المبحث الثاني: الجزائر والأسطول العثماني

احتوى كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار على معلومات جغرافية وتاريخية مهمة عن مناطق مختلفة ضمن البحر الأبيض المتوسط، ومن بينها الجزائر، حيث يقدم وصفًا جغرافيًا وإداريًا للمنطقة في سياق الأحداث البحرية والسياسية التي شهدتها في القرن السابع عشر، حيث نجده يقدم وصفًا لموقع الجزائر الاستراتيجي على الساحل الشمالي لأفريقيا، مشيرًا إلى أهميتها البحرية كقاعدة للأسطول العثماني في مواجهة القوى الأوروبية، خاصة إسبانيا، كما نجده يصف تقسيم الجزائر إلى وحدات إدارية واقتصادية، مع الإشارة إلى نظام التيمار وأهميته في تنظيم الموارد والجيش، مما يعكس العلاقة بين الجغرافيا السياسية والاقتصادية.

تطرق القسم الثاني من كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار، للحدث عن الجزائر والأسطول العثماني وأهم ما ورد فيه:

أولاً: دور الجزائر في الحملات البحرية

الجزائر مدينة عظيمة على ضفة البحر المتوسط في الجانب الغربي[2]، وهي عاصمة مملكة الجزائر

---

[1] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص 83.

[2] عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ المدن الثلاث (المدية، مليانة، الجزائر)**، ط2، شركة الأمة، الجزائر، 2007م، ص50.

ويحتمل أنها إيكسيوم القديمة، تقد على درجتي 36 و20 د من خط العرض، و77 درجة و37 د خط الطول[1]، أطلق عليها العرب والأتراك 3الجزير الغازي3؛ أي الجزائر المحاربة، هذه التسمية مصدرها جزر صغيرة كانت موجودة قرب المدينة[2]، وقد جاء ازدهارها متأخر بين مدن البحر المتوسط وحتى مجيئ الأتراك فإن الظاهرة الأساسية لجغرافيا الجزائر كانت هي ذلك التجمع من الجزر الصغيرة التي تزود المدينة بمرسى صغير يسمح بإرساء آمن، أما التلال البارزة في الجبل فقد شكلت مدرجا طبيعيا يصعب الدخول إليه عن طريق البر، ولكن يبدو أن إدراك أهمية موقع الجزائر لمثل هذه النشاطات لم يتوصل إليها قبل العهد التركي[3]، وهو عهد طويل استغرق نحو 312 سنة، وفيه أصبحت مدينة الجزائر عاصمة للقطر الجزائري كله وحظيت حدودها التي بقيت إلى عهد الاحتلال الفرنسي فأصبحت من أهم مدن شواطئ البحر الأبيض المتوسط ويلقبها السكان بالعديد من التسميات وهي: البيضاء، البهجة، المحمية، المحروسة، وقد وصفها الكاتب الإنجليزي جوزيف مورقان في كتابه "الكامل في تاريخ مدينة الجزائر": "إن الجزائر مشهورة بحكومتها القوية، وأنها قد صمدت لأكثر من قرنين ضد هجمات كثيرة ولأنه ليس هناك اليوم ما يجعلها في خطر من تلك الهجمات"، كما وصفها بالمدينة التي لا تقهر، ولم تكن مدينة الجزائر فقط عاصمة مركزية بل تعتبر أيضًا دار للجهاد كما كانت تضم إدارات الحكومية وأجهزة السلطة المركزية واتسعد حجم المدينة خلال العهد العثماني فتوسع عمرانها وتبدل شكلها[4]، وكانت تظهر من بعيد بالخصوص من جهة البحر كأنها ثوب أبيض منشور على سفح الجبل[5]، وللمدينة منظر خلال بمساجدها وقلاعها

---

[1] جيمس ولسون ستيفن، **الأسرى الأمريكان في الجزائر (1785/1795)**، تر: علي تابليت، دار تالة، الجزائر، 2008م، ص210.

[2] وليام سبنسر، **الجزائر في عهد رياس البحر**، تر: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص ص 13-14.

[3] عمار عمورة، **الجزائر بوابة التاريخ من ما قبل التاريخ إلى غاية 1962م**، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2009م، ص65.

[4] نور الدين عبد القادر، **صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، كلية الآداب الجزائرية، الجزائر، 1385هـ/1965م، ص127.

[5] أحمد السليماني، **تاريخ مدينة الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت، ص23.

والبنايات العمومية الأخرى، وتبدو في شكلها وكأنها تشبه بشراع سفينة في مرج أخضر اللون، فهي تترك في نفسك انطباعا شاعريا، فهي مدينة وديعة حقا[1].

يتفق معظم مؤرخي تاريخ العرب الحديث أن القرن (16م) كان بحق العهد الذهبي للبحرية الجزائرية، حيث شهد هذا القرن صراعًا قويًا ين البحرية الجزائرية وبعض القوى الأوروبية (الإسبانية – البرتغالية) التي حاولت التوسع في سواحل المغرب العربي قبل سقوط الأندلس عام (1492م)، وقد نجحت البحرية الجزائرية في إيقاف هذا التوسع وجعله مقتصرًا على السواحل دون الدواخل، وبرزت خلال هذه الفترة شخصيات إسلامية لعبت دورًا كبيرًا في التصدي للتوسع الأوروبي وأهم هؤلاء الإخوان عروج وخير الدين بربروسا[2].

ثانيًا: أعمال الأخوين عروج وخير الدين بربروس:

تطرق حاجي خليفة في القسم الثاني من كتابة تحفة الكبار وأسفار البحار إلى غزوات عروج وخير الدين، ومحاصر بجاية وفتح جيجل وإلى قدم عروج إلى الجزائر.

مبتدأ بالتعريف بهما، وبأنهما ينتميان إلى أسرة تعود في أصولها إلى جزيرة مدلي، حيث كان أوبهما يعمل عسكريًا (اسباهيًا) في جيش السلطان مُحَّد الفاتح، واشتهرت أسرتهم بالعمل التجاري لاسيما بعد أن تخلص عروج من أسره بمساعدة أخيه خير الدين ثم تولى قيادة سفينة البحار العثماني الشهير (علي رايس)، الذي تعرف عليه في مدينة أداليا، ليقوم بنقل الأخشاب والتجارة فيها، وبعدها دخل في خدمة السلطان المملوكي (قانصوه الغوري) لكن الأمر لم يدم طويلا عاد بعدها إلى اداليا ليعمل على تجهيز أسطول الجديد بمساعدة ابن السلطان بايزيد الثاني العثماني الأمير (قورقورد)، الذي كان معروفًا برعايته للبحارة وسعيه لتخليص الأسرى العثمانيين من أيدي فرسان رودس، وبالفعل منح

---

[1] وليام سبنسر، مرجع سابق، ص41.

[2] رابحة مُحَّد خضير عيسى الجبوري: **موقف القوى الإسلامية من التوسع الأوروبي في المغرب العربي 1492–1578م، دراسة تاريخية**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، 2006م، ص88.

عروج سفينه كبيرة بدأ فيها نشاطه البحري من جديد بالإغارة على الجزر التابعة لرودز والقرصنة على سفنها[1].

ولقد لعب الأخوين عروج وخير الدين بربروسا دورًا محوريًا في تعزيز القوة البحرية للجزائر وجعلها قوة بحرية عظمى في البحر الأبيض المتوسط خلال القرن السادس عشر، وذلك من خلال عدة محاور رئيسية:

- تأسيس الأسطول البحري الجزائري والجهاد ضد القوى الأوروبية، حيث كان عروج وخير الدين من أبرز القادة البحريين الذين قادوا الجهاد البحري في سبيل مقاومة النفوذ الإسباني والبرتغالي المسيحي في البحر المتوسط، حيث مارسا القرصنة المنظمة ضد السفن الأوروبية، وهاجما الموانئ المحتلة من قبل الإسبان مثل بجاية وشرشال، وحررا مدنًا ساحلية في شمال إفريقيا[2].

وقد نعث الأوروبيون نشاط البحرية بالقرصنة، ووصفوهم بأنهم قطاع طرق، وهو إدعاء مغرض بعيدا عن الحقيقة، والواقع أن أول من مارس أعمال القرصنة البحرية هم الأوروبيون أنفسهم، وتوسعوا في تطبيقها بشكل بشع وشراسة، وكان ذلك أعقاب الحروب الصليبية وبداية التراجع الإسلامي من الأندلس، وكانت خطة الجزائر في البداية هي مواجهة الاعتداءات والتحرشات ضد إرادة التنصير والتمسيح، ثم لما أخذت هذه الأعمال شكل أحلاف انتقل بربروسة إلى مرحلة الهجوم وأخذت قوتها تضرب القرصنة الأوروبية في عقر دارها، وتلقنهم دروسا لا تنسى حتى اضطرت حكوماتهم أن تشتري السلم والأمن لها ولمراكبها في البحر والبر، وهذا عن طريق المال والمعاهدات وتبادل الأسرى، وهكذا كان عمل الجزائر مقاومة ضد العدوان وليس قرصنة كما ادعى البعض وهم الذين سبقوا إليها كوسيلة لغنم واللب، وما زاد في تقهقرهم هو سقوط حصن الصخرة أو كما سمي البنيون[3].

ومن أهم أعمال خير الدين بربروس بعد تأسيس الإيالة الجزائرية من 1519-1534م نذكر:

---

[1] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص 65.

[2] المصدر نفسه، ص 114.

[3] رأفت الشيخ، **تاريخ العرب الحديث**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، 2005م، ص373.

- **تحرير حصن البنيون 1529م:** لقد كان البنيون الذي أنشأه "بدرونافار" على الجزر العظيمة المسماة سخفة، كان ذلك الحصن مجهزا بالسلام والجيش، كان شوكة في حلق الجزائريين، كان الجند فيه يفتشون كل صادرات وواردات البلاد، وقطع صلة الجزائريين بالبحرية، وتعددت أدية النصارى للأهالي وتكرر عدوانهم عليهم، وكانوا يطلقون النار على المنارات عند كل أذان صلاة، فقد نهاهم خير دين عن عملهم هذا فلم يفعلوا، لقد يئس من محاولاته السلمية وأخفق من انذاراته وتهديده للإسبان، وتجهز أخيرًا لفتح القلعة بأنواع السلاح الثقيل[1] وتم الفتح رسميا في 27 ماي من يوم الجمعة 1529م.
- **انتصار البليار وهزيمة أندري دوريا 1530م:** ما كان خير الدين يهنأ بانتصاره العظيم في البنيون 1529م، حتى انطلقت سفنه إلى أرض إسبانيا بعد أن علم بمحاولة الإمبراطور الإسباني الذي كان ينسج خيوط المؤامرة على مدينة الجزائر، هذا الأخير الذي اتفق مع أبي حمو ملك تلمسان، على أن يقوم الطرفان بتوجيه ضربة حاسمة للجزائر، وكان بتجهيز خمسين سفينة حربية يتبعها مائة من حاملات المقاتلين، إضافة إلى الكثيرة من المقاتلين المتطوعين والأمراء الصليبيين والقائد الجنوي أندري دوريا [2]. كان الأسطول الجزائري يشمل خمسة عشر سفينة من نوع قالير Galeres، وقد أبقى الرعب والهلع في نفوس سكان الإسبان، وكانت هناك معدات أخرى، على إثر هذا التحرك بعث القائد الإسباني رسالة إلى خير الدين يدعوه فيها للإستسلام، وإلا فعل به مثلما فعل بعروج، ولكن خير الدين لم يكن بالرجل الذي يرضى بالذل، فقد رد عليه قائلاً: "إن السيف هو الذي سيحكم بيننا على من هو أحق بالجزائر"[3]. تلقى قائد الأسطول أمرا إمبراطوريا بأن يتقدم لمواجهة الأسطول العثماني وأن يحطمه ويبعده عن الساحل الإسباني، فاستعد الأميرال "فريدريكو ربور–توندوا" أيما استعداد، وتقدم على رأس أسطول قوامه اثنا عشر سفينة يتبع بها

---

[1] عبد الرحمان جيلالي، مرجع سابق، ص52.

[2] سليمان مظهر، "بربروس سيد البحار"، مجلة العربي، الكويت، العدد 307، 1994م، ص130.

[3] المرجع نفسه، ص130.

أسطول خير الدين السريع[1]. وتابع "توندار" المسلمين حتى عثر عليهم في جزيرة من جزر البليار، وهجم عليهم بقوة لكن خير الدين بخبرته البحرية ركز هجومه العاكس على السفن الإسبانية دون غيرها، وتمكن من قتل وأسر العديد منهم قائد الحملة، ولم تنج من المعركة سوى سفينة واحدة[2].

باختصار، الأخوان عروج وخير الدين بربروسا كانا القوة الدافعة وراء بناء القوة البحرية الجزائرية، حيث أسسا الأسطول، قادا الحملات البحرية ضد الأعداء، أسسا دولة بحرية قوية، وعززا الارتباط بالدولة العثمانية، مما جعل الجزائر لاعبًا محوريًا في الصراع البحري في البحر الأبيض المتوسط خلال القرن السادس عشر.

المبحث الثالث: البعد السياسي والعسكري لحضور الجزائر

تجدر الإشارة أنه من خلال ما يتوفر لدينا من إنتاج أدبي تاريخي محلي فيما يتعلق بتاريخ الجزائر خلال الفترة الحديثة، يبقى ضئيل مقارنة بثراء هذه المرحلة التاريخية من جهة، وغزارة الكتابات الغربية المتعلقة بتاريخ الجزائر خلال نفس الفترة؛ ذلك أن الأوربيين عموما كتبوا بغزارة عن الجزائر خلال العهد العثماني، ورغم اختلاف جنسيات تلك المصادر إلا أنها تشترك في الاهداف والغايات، ذلك أنه منذ ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية في سنة 1519م تغير مستقبل المغرب الأوسط، والمغرب الإسلامي عمومي، كما تغيرت أهدافه ومكانته وسياسته وعلاقاته الخارجية، فأصبحت الجزائر إيالة عثمانية؛ اكتست أهمية كبيرة، فحملت على عاتقها مسؤولية تحرير سواحلها من الاختلال المسيحي الإسباني، ومواجهة المشروع المسيحي في البحر المتوسط، إضافة إلى تحرير باقي أقطار المغرب الإسلامي، وإنقاد مسلمي الأندلس المضطهدين والفارين من البطش الإسباني، وكذا مساندة الدولة العثمانية في مشروعها لحماية العالم الإسلامي ومجابهة الغرب المسيحي المتحالف ضدها[3].

---

[1] أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492–1792م**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1965م ، ص215.

[2] سليمان مظهر، مرجع سابق، ص130.

[3] الشافعي درويش: "دور الجزائر في معارك البحر المتوسط خلال القرن 16م (مواجهة المشروع المسيحي)"، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، المركز الجامعي بتندوف، الجزائر، مج 05، ع 02، ديسمبر 2020م، ص 06.

أولاً: الجزائر كقاعدة بحرية عثمانية:

برز الكتاب دور الجزائر كقاعدة متقدمة للدولة العثمانية في مواجهة الأساطيل الإسبانية والفرنسية، حيث كانت موانئها مثل المرسى الكبير وهران وبجاية نقاط انطلاق للحملات البحرية العثمانية، وقد ساعدت في تأمين السيطرة على غرب البحر المتوسط لفترة طويلة[1].

حيث جعلت الدولة العثمانية من الجزائر ولاية ذات وضع خاص، فعرفت بناءً على ذلك بنيابة الجزائر، لذل لأن طبيعة موقعها وظروفها حولتها إلى قاعدة للوجود العثماني في غرب البحر المتوسط، فصارت تبعا لذلك مسؤولة عن إدارة شؤون الحكم في طرابلس الغرب، في المرحلة الأولى من الوجود العثماني في شمال إفريقيا، كما أوكلت إليها مهمة إلهاء الإسبان عن المشاركة في حروب أوروبا ضد الدولة العثمانية في المجر والنمسا[2]، وذلك بالتصدي للعدوان الإسباني على سواحل شمال إفريقيا وتأمين عمليات إنقاذ المسلمين في الأندلس[3]، كما يشير الكتاب إلى دور قادة بحريين جزائريين مثل خير الدين بربروس وأخيه عروج، اللذين كان لهما دور محوري في طرد الغزاة الإسبان من السواحل الجزائرية وبناء أسطول بحري قوي تابع للدولة العثمانية .هؤلاء القادة كانوا بمثابة "رياس البحر" الذين قادوا الجهاد البحري ضد القوى الأوروبية، وتركوا بصمات واضحة في تاريخ البحرية الجزائرية[4].

ثانيًا: المشاركة في الحملات البحرية:

تصف "تحفة الكبار" مشاركة الجزائر في الحملات البحرية ضد القوى الأوروبية المسيحية، حيث كانت تشارك في معارك كبرى مثل معركة ليبانت (1571م) وغيرها من المواجهات التي شكلت

---

[1] زكي مبارك: "الجهاد البحري في الغرب الإسلامي المفهوم الإسلامي والمفهوم المسيحي"، مجلة البحث العلمي، السنة الإحدى والثلاثون، ع 45، جامعة مُحَمَّد الخامس، الرباط، المملكة المغربي، 1998م، ص24.

[2] بن غلبون أبو عبد الله مُحَمَّد بن خليل الطرابلسي، **التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار**، تح: أمين البحيري، المدار الإسلامي، بيروت، 1998م، ص100.

[3] بروشين. نيكولاي إيليتش، **تاريخ ليبيا في العصر الحديث من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين**، تر: عماد حاتم، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط2، بيروت، لبنان، 2001م، ص26.

[4] زكي مبارك: مرجع سابق، ص24.

جزءًا من الصراع البحري بين العثمانيين والأوروبيين. كما كان للأسطول الجزائري دور في حماية السواحل وتأمين طرق الملاحة، والتصدي لهجمات الغزاة.

دور الجزائر في الحملات البحرية كما ورد في كتاب "تحفة الكبار في أسفار البحار" لحاجي خليفة يتمحور حول مساهمتها الفعالة في الحروب البحرية ضمن الاستراتيجية العثمانية في البحر الأبيض المتوسط، حيث كانت الجزائر تمثل قاعدة بحرية استراتيجية ذات أهمية كبرى[1].

ثالثًا: البعد العسكري والسياسي:

يوضح الكتاب أن الجزائر لم تكن مجرد قاعدة بحرية، بل كانت قوة بحرية ذات استقلالية نسبية، ساهمت في بناء بنية الأسطول العثماني، وأثرت في موازين القوى في البحر المتوسط، مما جعلها هدفًا لهجمات أوروبية متعددة بهدف القضاء على قوتها البحرية.

وقد حقق انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية أهدافًا سياسية وعسكرية كثير أهمها تأمين حدود مصر الغربية، وتوسيع ممتلكات الدولة العثمانية دون أن تتحمل أية تبعات عسكرية أو مالية كبيرة كما تحملت ذلك في مصر والشام[2].

كما كان لإعلان انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية الأثر في أن سادت موجة عامة من الرعب في أوروبا، خصوصا في إسبانيا، لأن هذا الانضمام كان يعني بالنسبة لها وصول الخطر العثمانية ليس لتهديد قواعدها العسكرية المتناثرة في شمال إفريقيا فحسب؛ بل يتعدى ذلك إلى تمديد وجودها في الأندلس التي مازال هاجس إعادة فتحها من طرف الأتراك العثمانيين يلوح لهم في كل حملة يقوم بها الغزاة[3]، بل وتأكد هذا الرعب حينما عزم السلطان سليمان القانوني على فتح روما، بعد استيلائه

---

[1] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص 115.

[2] سناء قواسمية، **الدور العسكري للبحرية الجزائرية خلال عهد الدايات (1671–1830م)**، مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ، تخصص: تاريخ الجزائر الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، 2024/2023م، ص 11.

[3] يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، طبعة 1999م، ص45.

على مملكة نابولي، فأرسل لأجل ذلك الأسطول العثماني بقيادة خير الدين بربروس لاحتلال أولونيا الواقعة على ساحل البحر الأدرياتيكي، وذلك سنة 1537.

باختصار، كتاب "تحفة الكبار في أسفار البحار" يبرز الجزائر كركيزة أساسية في الحملات البحرية العثمانية، من خلال موقعها الإستراتيجي، وقادتها البحريين، ودورها العسكري والسياسي في مواجهة القوى الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط.

وقد منح خير الدين بربروس بعد لقائه بالصدر الأعظم إبراهيم باش في حلب لقب بيكلربك، وهو أرفع المناصب السياسية في الدولة العثمانية والذي كان بمثابة نائب السلطان على تلك المناطق، لقد كان هذا المنصب يخوله مسؤولية إدارية واسعة، وتجعل منه قائدا عاما للجيش ومثلا للسلطان في إقليمه[1].

من خلال ما سبق تناوله في هذه الفصل حول الجغرافية البحرية العثمانية والجزائر من خلال كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار لحاجي خليفة نجده يقدم لنا وصفًا جغرافيًا لمنطقة البحر الأبيض المتوسط، وقد تطرق لوصف موقع الجزائر الاستراتيجي على الساحل الشمالي لأفريقيا، مشيرًا إلى أهميتها البحرية كقاعدة للأسطول العثماني في مواجهة القوى الأوروبية، ويربط بين الجغرافيا الطبيعية للجزائر وتأثيرها على النشاط البحري، والحروب البحرية التي دارت في المنطقة.

ا

[1] نيقولاي إيفانوف، **الفتح العثماني للأقطار العربية (1516–1574)**، تر: يوسف عطا الله، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 1988م، ص109.

الفصل الثالث:

تحليل ونقد

المبحث الأول: تقييم مدى حضور الجزائر في الكتاب

المبحث الثاني: المقارنة مع الوقائع التاريخية

من خلال هذا الفصل نتطرق إلى تحليل ونقد، بالتطرق إلى تقييم حضور الجزائر في الكتاب مقارنة بدورها الفعلي، ومقارنته مع المصادر والأوروبية المعاصرة، ثم نتطرق إلى تحليل السياق السياسي للكتاب وأثره على الرواية.

المبحث الأول: تقييم مدى حضور الجزائر في الكتاب

من خلال هذا المبحث نقوم بتحليل مضامين الكتاب، بالتطرق إلى الموقع الجغرافي، والمشاركة في الحملات البحرية، ثم ذكر القادة الجزائريين:

أولاً: الموقع الجغرافي:

يذكر حاجب خليفة الجزائر بإعتبارها قاعدة بحرية إستراتيجية ضمن الأسطول العثماني في البحر المتوسط، ويشير إلى دور الأسطول الجزائري في التصدي للقوى الأوروبية، خاصة الإسبانية والفرنسية، كما تناول الكتاب التحالف البحري بين الجزائر والدولة العثمانية، حيث كانت مركزًا هامًا للعمليات البحرية العثمانية.

تاريخ البحرية الجزائرية تاريخ بحري كبير حافل، يرجع إلى عام 1518 حيث بدء بعد زيادة عمليات الغزو الإسباني لشواطئ والموانئ الجزائرية حيث كانت تحتل موانئ المرسى الكبير وهران وبجاية في عام 1518 م[1]، حيث تم الاستعانة بالدولة العثمانية لطرد الغزاة وقد أرسلت الأخوين عروج وخير الدين بربروسا الذين أخرجا الغزاة الاسبان من الموانئ الجزائرية وبعدها انضمت الجزائر للدولة العثمانية وتم البدء ببناء الأسطول البحري الجزائري حيث تم في البداية بناء أربعة قطع بحرية أكبر وانضم الكثير من العثمانيين للأسطول ليشكل أسطولا كبيرا بسط سيطرته على غرب المتوسط لفترة دامت ثلاثة قرون، يذكر أن الأخوين عروج وخير الدين هما مسلمين من أصل ألباني.

ومن خلال قراءة كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار" وتحليله في إطار دراستنا لما ورد فيه حول تاريخ الجزائر، فنجد أنه رغم كونه يُعد مرجًا مهمًا في التاريخ البحري العثماني ويحتوي على معلومات جغرافية متعددة، إلا ننتقده في عدم تناوله بالتفصيل للموقع الجغرافي الدقيق للجزائر، وهو

[1] زكي مبارك: مرجع سابق، ص24.

ما صادفنا في بحثنا في هذه الجزئية في صفات الكتاب، حيث يظل محدود وغير واضح بشكلٍ كافٍ، مما يشكل نقطة ضعف بالنسبة للباحثين المهتمين بدراسة جغرافية الجزائر ضمن السياق العثماني.

ويركز الكتاب بشكل أكبر على الجانب العسكري والبحري، وعلى الأحداث والصراعات البحرية في البحر الأبيض المتوسط، مع إبراز دور الجزائر كقاعدة استراتيجية، لكنه لا يقدم وصفًا جغرافيًا مفصلًا أو خرائط دقيقة توضح موقع الجزائر وعلاقاتها الجغرافية بالبحر المتوسط والمناطق المحيطة، هذا النقص في التفاصيل الجغرافية قد يعود إلى طبيعة الكتاب الذي هو في الأساس مؤلف تاريخي بحري يهدف إلى توثيق الأحداث البحرية والإنجازات العسكرية أكثر من كونه دراسة جغرافية شاملة، مما يجعل الجانب الجغرافي الجزائري في الكتاب ثانويًا أو ضمنيًا.

من الناحية النقدية، يُعتبر هذا القصور في تقديم معلومات جغرافية دقيقة عن الجزائر عائقًا أمام الباحثين الذين يرغبون في فهم أعمق للعوامل الجغرافية التي أثرت على تاريخ الجزائر الحديث ودورها في الدولة العثمانية.

ثانيًا: المشاركة في الحملات البحرية:

قام الأسطول الجزائري بقيادة عروج بالإغارة على السفن الأوروبية، حتى غدا بمرور الوقت الوحيد القادر على مواجهة الأساطيل الإسبانية، الأمر الذي دفع الحاكم السابق لبجاية الأمير عبد الرحمان إلى الاستنجاد به، وكان عروج يدرك جيدًا إن استعانة بجاية سيكون له تأثير كبير على مستقبله لذلك لبى بسرور طلب الأمير عبد الرحمان الذي جهزه بثلاثة آلاف مقاتل أضاف إليهم عروج 200 من بحارته وحاصرت هذه القوات قلعة بجاية، لكن لم تستطيع عليها، وفي المعركة أُصيب عروج بيده، وخلال ذلك وجد عروج أنه لا يمكن له الاستمرار في نشاطه البحري لمواجهة التوسع الأوروبي بالاعتماد على إمكانياته الذاتية المحدودة؛ إذ لابد له الاستعانة بإمكانيات دولة كبيرة فاتجه نظره إلى الدولة العثمانية الإسلامية لذلك أرسل أحد بحارته وهو بيري ريس إلى السلطان سليم الأول، الذي رحب به ومنحه سفينتين كبيرتين مجهزتين بالسلاح والعتاد وأذن له أن يجند ما يشاء من البحارة من الأناضول[1].

[1] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص 104.

في هذا الوقت كانت دول المغرب العربي تعاني أوضاعًا سياسية مضطربة بسبب السيطرة الإسبانية على أجزاء كبير منها، فالإسبان بعد إنهائهم الحكم العربي الإسلامي في الأندلس فإنهم أزاحوا من طريقهم أكبر قوة كانت ممكن أن حول توسعهم في السواحل المغاربية، فالأنظمة السياسية في فاس والجزائر كانت تعيش إنهيارًا عسكريًا وسياسيًا واضحًا للعيان، لذلك لم يكن في البحر المتوسط أسطول إسلامي بوسعة إيقاف تقدم القوات الإسبانية التي أصبح في مقدورها السيطرة على أي منطقة ترغب في السيطرة عليها، لاسيما وأن الحكومتان الإسبانية والبرتغالية كانتا تسعيان إلى الهيمنة على الطرق التجارية الشرقية وتقيمان قواعد لهما على سواحل إفريقيا الشمالية تأمن مصالحهما[1].

غير أن الحكومة الإسبانية لم تكن تستهدف فقد إقامة المراكز التجارية؛ بل كانت تتبع سياسة استعمارية بكل معنى الكلمة، ساعية إلى مواصلة سياستها التي بدأتها في الأندلس والتي تمثلت في إبادة المسلمين، لذلك سعى الإسبان إلى السيطرة على ميناء وهران غربي الجزائر سنة 1509م، بعد أن قتلوا 4000 من سكان المدينة وأسروا 8000 آخرين، واحتلوا بعدها ميناء بجاية ولم يمضي وقت طويل حتى وقعت في أيديهم مدن عديدة منها الجزائر وتنس ومستغانم وشرشال ودلس.

وفي خضمّ هذه الظروف وصل عروج وأخوه خير الدين إلى جزيرة جربة التي اتخذاها قاعدة لنشاطهم البحري، حيث لم يمض وقت طويل حتى داع صيتها بما حصلا عليه من غنائم كبيرة لكنهما بمرور الوقت أدركا إن جزيرة جربة غير مأمونة لهما لكونها مكشوفة ولا توجد فيها قلعة يمكن الاحتماء بها عند الضرورة، الأمر الذي جعلهما يبحثان عن مكان آخر تتوار فيه شروط الأمان فتوجها إلى سلطان تونس أبي عبد الله مُحَمَّد الحفصي طالبين منه منحهم ملاذًا أمنًا في ملكتهم، وكان السلطان الحفصي يدرك جيدًا القدرة التي يمتلكها الأخوان عروج وخير الدين والتي من الممكن

[1] فاضل بيات مهدي: **الدولة العثمانية في المجال العربي، دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا (مطلع العهد العثماني– أواسط القرن التاسع عشر)**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2007م، ص531.

استغلالها والاستفادة منها لصالحه، فوافق على منحهم منطقة حلق الوادي مقابل حصول على خمس ما يحصلون عليه من غنائم[1].

احتل الإسبان مدن عديدة كان أهمها مدينة الجزائر التي فرض على سكانها ضرائب كبيرة أثقلت كاهلهم مما دفع حاكمها سالم التومي إلى الاستنجاد بعروج لتخليص المدينة من الاحتلال الإسباني، وتعهد له بالسماح له بالإقامة في مدينة الجزائر ولم يتأخر عروج في تلبية الدعوى فأرسل أسطوله إلى ميناء الجزائر وسار مع 800 من بحارته بطريق البر وانظم له 500 من المتطوعين من أبناء القبائل في هذه الأثناء بدت القوات الإسبانية المرابطة في المدينة بالانسحاب منها إلى ميناء بينون الإسباني المقابل للسواحل الجزائرية لإدراكها صعوبة الوقوف بوجه القوات القادمة، ليدخل عروج وقواته المدينة سنة 1516م وسط حفاوة كبيرة من السكان والأهالي[2].

شكل دخول عروج للجزائر صدمة كبرة للإسبان جعلهم يصابون بقلق كبير، والحقيقة إن بروز الإخوة بربروس كقوة عسكرية لا يستهان بها أوقع الإسبان في اضطراب كبير لأن بروز هذه القوة سيؤدي بالتأكيد إلى الحد من توسعات في السواحل الجزائرية خاصة وشمال إفريقية عامة، الأمر الذي جعل الملك الإسباني شارلكان بالتعامل بجدية أكبر من الموقف الجديد، فأرسل في أيلول 1516م أسطولاً كبيراً ضمّ 400 سفينة حربية و140 سفينة تقل 15000 مقاتل إلى الجزائر التي حاصرها وقامت القوات الإسبانية بضربها بالمدافع وكادت المدينة تسقط بيد الإسبان لولا بسالة المدافعين واستماتتهم في الدفاع عنها مما أجبر القوات الإسبانية على الانسحاب بعد أن تكبدوا 1500 قتيل وعددًا كبيرًا من الأسرى وفقد الأسطول الإسباني معظم سفنه[3].

رغم موقف عروج الملبي لنداءات أهل المغرب إلا أن ما يؤسف له أن بعض الأمراء لم يرحبوا بالفاتحين الجدد (العثمانيين) والتجئوا إلى الإسبان متحالفين معهم على محاربة أبناء جلدتهم وكان

---

[1] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص 85.

[2] المصدر نفسه، ص 87.

[3] فاضل بيات: مرجع سابق، ص532.

على رأسهم أبو حمو الثالث حاكم تلمسان الذي استنجد بالإسبان الذين سرعان ما قدموا له المساعدة ومدوه بالسلاح وتمكنت القوات الإسبانية من اجتياح قلعة بني راشد التي كانت بيد العثمانيين وسارت نحو تلمسان المعقل الرئيسي لقوات عروج وقاموا بمحاصرتها ودكها بالمدافع ورغم مقاومة عروج وقواته إلا أنهم لم يتمكنوا من الصمود بسبب ضخامة القوات الإسبانية مما اضطره إلى الإنسحاب مع من بقي من قواته إلى خارج المدينة إلا أن الإسبان لحقوا به وقتلوه عام 1518. [1]

بعد استشهاد عروج يذكر المؤرخ العثماني أحمد جودت أن أهالي الجزائر طلبوا من أخيه خير الدين تولي مدينة الجزائر فلبى طلبه[2].

وعلى الرغم مما اتصف به خير الدين بربروسا من قوى وشجاعة، فإنه أدرك صعوبة موقفه بعد استشهاد أخيه عروج، نظرًا لضعف موقفه السياسي ومركزه الحربي، ولأنه خشي من قيام تمرّدات من سكان الجزائر والمناطق المجاورة لها، فيستغل الإسبان ذلك الوضع بالهجوم على الجزائر، كما سمحت هذه الظروف بعودة بعض القيادات المحلية التي رفضت من قبل الانضواء تحت نفوذ عروج وخير الدين بربروسا، فأرادت استعادة نفوذها وسلطتها، فالزيانيون عادوا إلى حكم تلمسان تحت الحماية الإسبانية، والسلطان الحفصي يريد أن يمد نفوذه إلى الجزائر، كما أعلن أحمد بن القاضي سيطرته على مناطق زواوة، وثارت كل من تنس وشرشال[3]. لذلك كان خير الدين مدركا صعوب صموده من دون الدخول تحت حماية دولة قوية تحميه لذلك لجأ إلى أهم قوة إسلامية في تلك الفترة وهي الدولة العثمانية، فقرر مغادرة الجزائر والذهاب إلى استانبول، فجمع علماء وأعيان البلاد وأخبرهم بذلك الأمر، لكنهم ردوا عليه بقولهم: "يجب عليك المقام بهذه البلدة الإسلامية لحمايتها، ولا رخصة لك في تركها نهبة للمفترس"، وهذا دليل على إصرار الكثير من أهالي الجزائر على بقاء خير الدين لحمايتهم من المخاطر التي تهددهم من الإسبان، لكن خير الدين أجابهم أنه بقي وحيدًا بعد

---

[1] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص 94.

[2] أحمد جودت باشا: **تاريخ جودت**، تر: عبد القادر افندي الدنا، مطبعة جريدة بيروت، ج1، 1308هـ، ص134.

[3] رابحة مُحَمَّد خضير عيسى الجبوري: مرجع سابق، ص116.

استشهاد إخوته وليس له معين من بعدهم، لاسيما بعدما رآه من موقف الزيانيين والحفصيين خلال محاربة أخيه عروج الإسبانيين ورفضهم إعانته، لكن الأهالي أصروا على موقفهم وناشدوه الموافق، فاضطر خير الدين بربروسا على الموافقة[1].

وبعد ذلك عرض عليهم فكرة ربط الجزائر بالدولة العثمانية صاحبة القوة الفعلية في المشرق العربي آنذاك، لاسيما بعد انتصارات السلطان سليم الأول (1512-1520م) على الدولة الصفوية في عام 1514م، وضمه بلاد الشام ومصر والحجاز واليمن في عامي (1516-1517م)، بحيث أصبحت الدولة العثمانية على تماس مع المغرب العربي، وبذلك يتمكن من خلالها الحصول على الدعم المادي والعسكري الذي سيساعده في السيطرة على الجزائر والوقوف بوجه أعدائه[2].

وكان هدف خير الدين بربروسا من ذلك هو ربط الجزائر بالدولة العثمانية؛ بل وكانت رغبته أن يذهب بنفسه إلى استانبول ليعرض على السلطان سليم الأول شخصيًا أوضاع البلاد، وأبعاد قضية الجزائر، لكن علماء وأعيان الجزائر لم يوافقوا خشية أن يستغل الأعداء ذلك، وأشارا عليه بأن يوفدوا بعثة أو سفارة إلى السلطان العثماني تقوم بهذه المهمة عوضًا عنه، وتحمل معها رسالة باسم القاضي والخطيب والفقهاء والأئمة والتجار والأعيان وكافة سكان الجزائر، وقد تضمنت الرسالة عبارات الولاء العميق للدولة العثمانية والتقدير العظيم للسلطان والرغبة الأكيدة لسكان الجزائر في الاعتماد على الدولة العثمانية، ووقع اختيار خير الدين بربروسا على العلامة الشيخ أحمد بن القاضي ليكون رئيسًا للوفد، كونه شخصية دينية علمية وذو دراية عسكرة بشؤون الحرب، فضلاً عن أن غاية خير الدين بربروسا من ذلك قتل رغبة أحمد القاضي في القيام بأي نزوح للتمرد والاستقلال[3].

---

[1] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص 95.

[2] رابحة مُحَمَّد خضير عيسى الجبوري: مرجع سابق، ص116.

[3] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص 95.

غادر وفد الجزائر متوجهًا إلى استانبول، حاملاً رسالة أهالي الجزائر التي جاء فيها ما يلي: "إن أهل المدينة هم عبيد للسلطان العثماني، ليس لهم ملاذ سواه، يفزعون إليه في موقفهم الحرج..."، ثم أشادوا بأفضال بابا عروج في مدافعة الكفار لأنه كان ناصر الدين وحامي المسلمين المجاهدين في سبيل الله، إلى أن وقع شهيدًا في حصار الإسبانيين لمدينة تلمسان، وخلفه أخوه المجاهد في سبيل الله أو التقي خير الدين، وكان له خير خلف، فقد دافع عنا، ولم نعرف عنه إلا العدي والإنصاف واتباع السنة الشريفة، وهو ينظر إلى مقامكم العالي بالتعظيم والإجلال ويكرس نفسه وماله للجهاد لرضا رب العباد وإعلاء كلمة الله، ومناط آماله سلطنتكم العالية، مظهرًا إجلالها وتعظيمها، على أن محبتنا له خالصة ونحن معه ثابتون، ونحن وأميرنا خدام أعتابكم العالية، وأهالي إقليم بجاية والغرب والشرق خدمة مقامكم العالي، وإن المذكور حامل الرسالة المكتوبة سوف يعرض على جلالتكم ما يجري في هذه البلاد من الحوادث والسلام[1].

فرح السلطان سليم الأول بهذه البعثة فرحًا عظيمًا، لأنها تضع تحت تصرف الدولة العثمانية شواطئ المتوسط الغربية دون كلفة أو عناء، في حين يرى أحد الباحثين أن صلة العثمانيين بالجزائر تعود إلى أواخر القرن (9هـ/15م)، حيث تقول: "وفي بعض النصوص المحلية وجدنا العثمانيين كانوا على صلة بأهل المدن الساحلية الجزائرية لاسيما علماء الدين يتعاملون معهم، ويحاربوا معهم الدو المشترك"[2].

ومهما يكن من أمر فإن البعثة الجزائرية نجحت في تحقيق أهدافها، عندما أعلن السلطان سليم الأول، موافقته على طلبهم. كما منح خير الدين بربروسا لقب باشا ورتبة بلكربك؛ أي أمير الامراء، وهذا اللقب يمنح صاحبه سلطات إدارية واسعة ويجعله قائدًا أعلى للقوات المسلحة في إقليمه وممثلاً للسلطان، بدليل دعوى السلطان سليم الأول كافة حكام المغرب العربي إلى التعاون مع خير الدين

---

[1] ح اجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص96، عبد الجليل التميمي: "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م"، المجلة التاريخية المغربية، ع6، يوليو/ تموز 1976م، ص118.

[2] حاجي خليفة: المصدر نفسه، ص96. عبد الجليل التميمي: المرجع نفسه، ص118.

باشا لصد الاحتلال الإسباني، ولكون الجزائر أصبحت تحت السيادة العثمانية، فإن أي اعتداء على الأراضي التي يديرها خير الدين بربروسا صار اعتداء على الدولة العثمانية، ثم قام السلطان سليم الأول بإرسال قوة مؤلفة من 2000 إنكشاري مزودون بالمدفعية، فضلاً عن عدد من متطوع الأناضول بلغ عددهم 200 مقاتل أيضًا الذيم مح السلطان سليم بتجهيزهم ومنحهم نفس امتيازات الإنكشارية، وبذلك أصبح تحت أمرة خير الدين بربروسا أربعة آلاف من جنود الإنكشارية ومن متطوعي الأناضول الذين كون بهم خير الدين قوة الجزائر الحربية[1].

أصبحت مدينة الجزائر بذلك أول أجزاء المغرب العربي التي تدخل تحت السيادة العثمانية دون عمل عسكري اعتبارًا من عام 1519م، وبادر أهلها بالدعاء للسلطان على منابر مساجدهم، وضربت العملة باسمه، فأصبحت الجزائر آنذاك مركزًا حربيًا للدولة العثمانية لمواجهة الخطر الأوروبي[2].

أثار دخول الجزائر تحت النفوذ العثمانية قاقًا لدى الإسبان، لاسيما بعد فشلهم في عام 1518م في السيطرة عليها، لذلك قررت إسبانيا معاودة الهجوم على الجزائر بالاتفاق مع سلطان تلمسان أبي حمو الثالث، الذي أعادوه إلى عرشه بعد قضائهم على عروج، لكنه لم يستمر في حكمه طويلاً، فقد توفي بعد ذلك[3]، ومع ذلك فإنهم مضوا في استكمال مشروع حملتهم ضد الجزائر، والتي ضمت 40 سفينة كبيرة تحمل على متنها 5 آلاف مقاتل من الإسبان الأوروبيين، وكان قائد الحملة نائب ملك صقلية "هوكودي منكاد Hugo Moncade" واشترك معه في القيادة القائد الإسباني "كونزالفو مارينو دي ريبيرا Gonzalvo Marino De Ribera"، الذي مر بمدينة المرسى الكبير وأخذ معه جندًا وعتادًا ثم مر بمدينة بجاية وفعل الشيء نفسه إلى أن وصل أمام مدينة الجزائر

---

[1] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، المصدر نفسه، ص ص 96- 97.

[2] رابحة محمد خضير عيسى الجبوري: مرجع سابق، ص120.

[3] حاجي خليفة: مصدر سابق، ص97.

24 أب/ أغسطس من عام 1519م، ولكن خبرة وذكاء خير الدين باسا بربروسا استطاعت قواته أن تلحق الهزائم بالقوات الإسبانية وسفنها، وتأسر أكثر من 3000 مقاتل، بينما انهزمت بقية القوات التي ما كادت لتعود إلى مراكبها في البحر حتى استقبلتها عاصفة هوجاء أغرقت في البحر حوالي 4000 مقاتل، ولم يسلم من هذه المعركة إلا القليل منهم، فكان نصرًا مبينًا لخير الدين وقواته[1].

كانت أول حملات خير الدين باشا بربروسا ضدّ الإسبان التخلص من حامية قلعة البينون الإسبانية المواجهة لمدينة الجزائر والتي سببت الكثير من المضايقات لسكان ببرج الفنار كونها فرضت رقابة شديدة على السكان وقيدت حركة سفنهم[2].

وفي عام 1529م بدأ خير الدين باشا بربروسا في قصف جدران الحصن، الذي كان يحتمي فيه حوالي خمسمائة جندي، بقيادة "مارتن دي فيرغاس Martin De Vergas" مجهزين بالأسلحة والعتاد الذي يجعلهم في مأمن من أي هجوم، والرد عليه لكن مدافع خير الدين باشا بربروسا التي استمرت في القصف مدة ثلاثة أسابيع استطاعت أن تحدث فجوة كبيرة في الحصن وتمكنت قواته من اختراقه والهجوم على الحامية الإسبانية، فقتلوا وأسروا عددًا كبيراً منهم، بحيث لم يبق منهم سوى 25 جنديًا ع قائدهم الذي استمر في المقاومة إلى أن وقع في الأسر ويذكر أنه مات جراء العمل الشاق الذي أجبر على القيام به[3].

بعد أن سيطر خير الدين باشا بربروسا على حصن البينون، أمر بتهديم أسواره ثم عمل على تهديم الحصن بكامله ليقوم مكانه بناء عمراني مهم ليدل على عقلية معمارية متميزة امتلكها خير

---

[1] رابحة مُحَمَّد خضير عيسى الجبوري: مرجع سابق، ص120. بسام العسلي: **خير الدين بربروس والجهاد البحري (1470–1547م)**، دار النفائس، ط1، بيروت، لبنان، 1400هـ/1980م، ص109.

[2] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص98.

[3] رابحة مُحَمَّد خضير عيسى الجبوري: مرجع سابق، ص127. علي عبد الادر حليمي: **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل عام 1830** ، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، د ت، ص170.

الدين، حينما أمر جماعة من الأسرى وبإشراف بنائين جزائريين متخصصين، بنقل الصخور والحجارة التي تراكمت من حصن البنيون، كما أرسل السفن إلى الجهة المقابلة نحو الخليج، عند مرفأ تاما نتغوس، لجلب صخور رومانية قديمة من هناك، من أجل القيام ببناء جسر لربط البر بجزيرة اصطفلة – حيث كان حسن البينون– والذي سمي خير الدين، ثم قام بربط الجزر العشرين الموجودة هناك ببعضها ببعض ببناء دائري قوي، ليست فيه إلا فتحة واحدة، وبهذا أنشأ مرسى لمدينة الجزائر يكون مقرًا للأسطول ليحميه من العواصف القادمة من الغرب[1].

عزم خير الدين باشا بربروسا بعد ذلك على تخليص بقية المدن المحتلة من أيدي الإسبان، واستلزم ذلك إعداد جيش كبير نظرًا للحاميات القوية التي كانت موجودة في تلك المدن، لاسيما في كل من وهران والمرسى الكبير، لذلك دعا خير الدين باشا بربروسا المسلمين كافة إلى الانضمام إلى جيشه بسرعة، ثم توجه بأسوله المؤلف من 15 سفينة نحو السواحل الإسبانية، موقعًا فيها الخسائر التي اضطر السكان على أثرها ترك قراهم[2].

فوجد شارل الخامس ضرورة توجيه أسطو إسباني مؤلف من 12 سفينة حربية لمهاجمة أسطول خير الدين باشا، فأخذت مدافع الأسطول الإسباني تلقي بقنابلها على أسطول خير الدين باشا بربروسا من تحطيم الأسطول الإسباني كله عدا سفينة واحدة استطاعت أن تهرب[3]، فكانت فرحة المقاتلين بهذا النصر لا توصف، حيث تمكنوا من السيطرة على القسم الغربي للبحر المتوسط الذي أصبح وكأنه بحيرة عثمانية، بعث على أثرها السلطان سليمان القانوني (1520– 1566م) فرمانًا خاصًا (خطي شريف) إلى خير الدين باشا بربروسا يهنئه بهذا النصر، لاسيما بعد رفعه الرابعة العثمانية في قلب المغرب العربي[4].

---

[1] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، المصدر نفسه، ص98.

[2] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص99.

[3] رابحة مُحَمَّد خضير عيسى الجبوري: مرجع سابق، ص129.

[4] حاجي خليفة: المصدر نفسه، ص99.

وعلى الرغم من الخسائر التي لحقت بالإسبان خلال هذه الفترة لكن ذلك لم بوقف عدائهم لخير الدين باشا بربروسا وسكان الجزائر، حيث صمموا على احتلال هذه البلاد، لكي يجعلوا من الساحل الجزائري الشرقي والغربي الذي يسيطرون عليه بواسطة مراكزهم في بجاية وهران نقطة انطلاق لهم للسيطرة على المغرب العربي كله، ولهذا قرر الإمبراطور شارل الخامس، إعداد حملة بحرية جديدة وضعها تحت قيادة أشهر وأبرع بحار جنوي هو "الأميرال أندريا دوريا Andrea de Auria"، ليتمكن من تحطيم قوة خير الدين باشا بربروسا[1].

ففي عام 1531م غادر الأسطول الإسباني المرسى الإيطالي الكبير وكان يتألف من عشرين سفينة، تحمل على متنها ألف وخمسمائة من المقاتلين الأشداء، متجهة نحو الساحل الجزائري، علمًا أن خير الدين باشا بربروسا كان على علم بخروج هذا الأسطول لكنه لم يكن يعلم وجهته، ومع ذلك جمع أسطوله المؤلف من أربعين سفينة وأعلن حالة الطوارئ في البلاد، ثم علم أن هدف الحملة مدينة شرشال تلك المدينة التي لها أهمية كبيرة كونها أكبر مركز من مراكز الدولة الحديثة، والتي حرص عروج كم قبل تحصينها عندما بنى لها قلعة قوية، والآخر للأخشاب معتمدًا على غابات الونشريس القريبة منها للاستفادة منه في بناء السفن، كما كان موقعها الإستراتيجي الذي يبعد 120 كلم شرق الجزائر وغرب وهران، يشكل خطرًا على مدينة الجزائر القريبة منها، فضلاً عن معرفة اندريا دوريا بحال المدينة التي لم تكن فيها حامية كافية للدفاع عنها عند تعرضها للخطر الخارجي، وإمكانية السيطرة عليها سيكون أمرًا سهلاً[2]، فعلاً تمكن اندريا دوريا من اقتحام المدينة، وعمل قتلاً ونهبًا بالسكان، مما ساعده في ذلك معرفة الإسبان بمخابئ الأسرى النصارى وفك أسرهم وتعاونهم معه في ذلك العمل، لكن خير الدين باشا بربروسا لم يتركهم دون عقاب، فقد أنزل قواته لتعمل سيوفهم قتلاً بقوات اندريا دوريا، كما دمرت قذائف مدافعه الكثير من سفن الأسطول الإسباني، فكبدهم

---

[1] رابحة محمد خضير عيسى الجبوري: المرجع نفسه، ص130.

[2] أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792م**، مرجع سابق، ص222.

خسائر كبيرة، سقط منهم أثر ذلك حوالي ألف وأربعمائة من الإسبانيين، وتم أسر ستمائة منهم، فلم يبق منهم سوى ثلاثمائة مقاتل لاذوا بالفرار غلى سفنهم التي نجت من قنابل المدافع الجزائرية[1].

أما أندريا دوريا، فقد ذهل من الصدمة، وتأكد أن لا قوة له على منازلة أسطول خير الدين باشا بربروسا والوقوف أمامه، فقرر مغادرة المدينة، فلحقه خير الدين باشا بربروسا، واستولى في طريقه على سفينتين إسبانيتين محملتين بالمؤن والعتاد، وهكذا فشل أندريا دوريا في عام 1531م في تحقيق هدفه، لكنه عزم على الرد والانتقام من خير الدين باشا بربروسا الذي اعتبره عدوه اللدود، لأنه نال من هيبته وهزمه في المعركة وهو الذي ذاع صيته في أوروبا كلها، كما نال من هيبة الإمبراطورية الإسبانية التي كانت تعد أقوى دولة في أوروبا آنذاك[2].

عاد خير الدين باشا بربروسا لمواصلة نشاطه البحري في البحر المتوسط، راغبًا في السيطرة على الحوض الشرقي منه، لذلك شرع في إعداد القوة اللازمة لهذا العمل، لاسيما حينما لاحظ ضعف روح الانضباط لدى الجيش الانكشاري، فقرر إنشاء قوة جديدة إلى جانبهم، فكون له جيشًا من 500 مقاتل من الإسبان الذين اعتنقوا الإسلام، وفرقة عن هذه الخطوة بسبب توالي غارات دوريا على شرق مالطا والمغرب العربي[3]، وكرد فعل على هذه الغارات التي كان شنها دوريا اضطر السلطان سليمان القانوني أن يجوه اهتمامه الرئيس نحو البحر المتوسط، بعد أن يجد له قيادة بحرية توازي قوة اندريا دوريا، فلم يجد أفضل من خير الدين باشا بربروسا ومجاهدي الجزائر للقيام بهذه المهمة، لاسيما بعد أن وصلته اخبار الانتصارات التي حققها خير الدين باشا بربروسا على الإسبان في المغرب العربي، فأرسل السلطان سليمان القانوني رسولاً إلى ولاية الجزائر في ربيع عام 1533م يحمل أمرًا باستدعاء خير الدين باشا بربروسا وقادته إلى استانبول[4].

---

[1] بسام العسلي: مرجع سابق، ص125.

[2] رابحة محمد خضير عيسى الجبوري: مرجع سابق، ص131.

[3] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص99.

[4] المصدر نفسه، ص99.

وصل خير الدين باشا بربروسا إلى استانبول في نهاية عام 1533م، واستقبل أفضل استقبال من السلطان القانوني الذي أكرمه مع رفاقه وألبسهم الخلع، ثم تداول معه في موضوع البحرية العثمانية، ولما كان السلطان يتهيأ حينئذ لحملة عسكرية ضد الدولة الصفوية وكان قد أرسل أولاً جيشًا بقيادة الصدر الأعظم إبراهيم باشا الذي وصل إلى حلب حينئذ ليقضي فصل الشتاء فيها، فقد اتجه خير الدين باشا بربروسا إلى حلب بناء على دعوة الصدر الأعظم إبراهيم باشا، وهناك حظي خير الدين باشا بربروسا ورفاقه بتكريم من الصدر الأعظم الذي بحث معه أيضًا موضوعات تخص القوة البحرية العثمانية، وعاد خير الدين باشا بربروسا بعدها إلى استانبول حيث عين قائدًا للأسطول العثمانية "قبودان باشا" وهو لقب كان خير الدين باشا بربروسا أول من حصل عليه، فضلاً عن احتفاظه بكلربك الجزائر، ثم شرع بعد ذلك في إعادة تنظيم الأسطول العثمانية، وبناء سفن جديدة بإشراف بحارة والفنيين الذين جلبهم معه، وعلى أثر ذلك وجد السلطان سليمان القانوني ضرورة ضم تونس إلى السيادة العثمانية، وقد دفعه إلى ذلك عوامل عديدة منها أهميتها الإستراتيجية ولتوسطها بين الجزائر وطرابلس الغرب، وقربها من إيطاليا ومن جزيرة مالطة مقر فرسان القديس يوحنا حلفاء الإمبراطور شارل الخامس، فضلاً عن الإمكانيات الهائلة التي توفرها موانئها في التحكم في المواصلات البحرية في البحر المتوسط، كما أن اضطراب الأوضاع الداخلية الخفصية، ودخول السلطان الحفصي تحت الحماية الإسبانية شجعت السلطان سليمان القانون على التفكير في إلحاق تونس بالدولة العثمانية[1].

أعد خير الدين باشا بربروسا القوة اللازمة لهذا الأمر وبمساعدة السلطان سليمان القانون، واتجه بأسطوله نحو تونس، حيث وصل عنابة، وتزود منها بالمدد الذي بعثه حسن آغا والي الجزائر، ثم ظهر أمام ميناء تونس في شهر آب/ 1534م، حيث تمكن من السيطرة على المدينة، وأعلن إنهاء الحكم الحفصي وتبعيتها للدولة العثمانية، وبذلك استطاع خير الدين باشا بربروسا أن يقوض

[1] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق100.

سيطرة الإمبراطور شارل الخامس على المياه الضيقة في قلب البحر المتوسط، والتي من خلالها ستتمكن الدولة العثمانية من فتح باقي إجزاء المغرب العربي[1].

تابع خير الدين باشا بربروسا حربه مع البندقية، التي تمكنت من الاستيلاء على قلعة Nuovo على ساحل دلماشيا، لكن خير الدن باشا بربروسا تمكن من استردادها بمساعدة بكلربك الروميلي خسرو باشا من ناحية البر، فتأثرت تجارة البندقية جراء هذه الحروب، ففي عام 1539م حدثت مجاعة قاسية في البندقية بسبب قلة الحبوب، فوجدت صعوبة كبيرة في توفير الطعام لمواطنيها بعد أن كانت تحصل عليه من الأراضي العثمانية، لذلك سعت البندقية على أثر ذلك إلى الدخول في صلح مع الدولة العثمانية، وبعد مباحثات على تخلي البندقية عن قلاعها في المورة وساحل دلماشي والجزر التي سيطر عليها خير الدين باشا بربروسا في حملته السابقة ودفع ضمانات تبلغ 300000 قطعة ذهبية للعثمانيين، وبينما كان خير الدين باشا بربروسا منشغلاً في الجهة الأوروبية، كان حسن غا والي الجزائر هو الآخر يعمل على توطيد الأمن في البلاد، ووضع أسس الإدارة المستقرة ليتمكن من جمع أطراف البلاد حول السلطة المركزية الجزائرية، وبالتالي يركز جهوده في مقاومة الإسبان في الحوض الغربي للبحر المتوسط[2].

ومن قراءة وتحليل ما ورد في كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار" بخصوص مشاركة الأسطول الجزائري في الحملات البحرية، فإننا نستطيع أن نوجه له بعض الانتقادات في هذا الخصوص، المتمثل في نقص التفاصيل الخاصة بالأسطول الجزائري، فبالرغم من كونه يقدم سردًا غنيًا عن التاريخ البحري العثماني وحملات مثل حملة كريت (1646م)، إلا أنه يعاني من قصور في تقديم معلومات مفصلة ودقيقة عن دور الأسطول الجزائري بشكل مستقل أو مشاركته التفصيلية في هذه الحملات، حيث يظل الحديث عامًا أو مركّزًا على الأسطول العثماني ككل دون تفصيل واضح للأسطول الجزائري.

---

[1] رابحة مُحَمَّد خضير عيسى الجبوري: مرجع سابق، ص151.

[2] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، 100.

حيث ركز الكاتب أكبر على الجانب العثماني المركزي، وميله إلى إبراز الدور المركزي للإمبراطورية العثمانية، مما أدى إلى تقليل التركيز على الوحدات البحرية التابعة مثل الأسطول الجزائري، رغم أهميته الاستراتيجية، وهذا يعكس محدودية المنظور الجغرافي والسياسي في الكتاب، كما أن الكتاب يفتقد إلى التوثيق المفصل للعمليات البحرية الجزائرية، حيث لا يقدم الكتاب وصفًا دقيقًا للمعارك أو الحملات التي قادها الأسطول الجزائري بشكل مستقل، أو تفاصيل عن القادة البحريين الجزائريين، مما يترك فجوة في فهم دور الجزائر البحري في تلك الحقبة.

ثالثًا: ذكر القادة الجزائريين:

كما كانت للبحرية الجزائرية في عهد حسن باشا عدة حملات، كان أول أعمال حسن آغا إخضاع مدينة مستغانم لدولة الجزائر، ثم تقدم باتجاه الجنوب الشرقي فاستولى على عاصمة الزاب (بسكرة) وملحقتها، وشيد هناك حصنًا وأقام به حامية، وفي أيلول 1539م توجه حسن آغا بأسطول مؤلف من 13 سفينة على متنها 1300 مقاتل نحو بلد جبل طارق، واحتل البلدة على حين غفلة من أهلها ومن الحامية الإسبانية الموجودة فيها، وغنم منها الكثير من الغنائم، ثم أخذ بالتوغل في الساحل الإسباني الجنوبي، مستحوذًا على ما يقع تحت يده من أموال ومتاع وأسرى يسوقهم للبيع في المدن المغربية الشمالية[1].

اكتسبت الجزائر مكانة مهمة في عهد حسن آغا، جعلت البابا بول الثالث يستنجد بالإمبراطور شارل الخامس لإيقاف هذا الخطر، وينبهه بأن ذلك لن ينتهي إلا بالسيطرة على الجزائر، لاسيما وأن هذا الإمبراطور سيأمن جانب فرانسوا الأول ملك فرنسا بحكم هدنة نيس التي لم تنته بعد، إلى جانب ذلك كان لإمبراطور شارل الخامس يسعى للسيطرة على الجزائر التي أصبحت تشكل خطرًا كبيرًا على السواحل الإسبانية بعدما أصبحت قاعدة قوية وحصينة للسلطان سليمان القانوني يستطيع من خلالها تهديد السواحل الإسبانية، وقد وجد الإمبراطور شارل الخامس ضرورة

[1] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، 100

الإسراع بغزو الجزائر لاسيما بعد أن وصلته أخبار من أوروبا عن نجاح السلطان سليمان القانوني باحتلال المجر، وإقليمي بود Buda وبست Pest في آب من عام 1541م وضمها تحت السيادة العثمانية، بعد أن قامت بتحويل أكبر كنائسها إلى مسجد، فكان ذلك بمثابة إهانة وتهديد كبير للدول الأوروبية[1].

لذلك أعد الإمبراطور شارل الخامس حملة من أكبر الحملات في القرن (16م)، وتحديدًا في عام 1541م ضمت جيشًا مؤلفًا من قوات ألمانية وإيطالية ومن جنوة، كما أرسل البابا بول الثالث قوة عسكرية يقودها حفيده كولونا، فضلاً عن مشاركة قوات فرسان القديس يوحنا، بحيث أصبح مجموع قوات المتحالفين وعدتهم بحدود 116 سفينة حربية ونحو 36000 بحار ومقاتل، تحت قيادة اندريا دوريا وعدد من كبار القادة البحريين، بينما كانت القيادة العامة للحملة تحت قيادة الإمبراطور شارل الخامس الذي أراد أن يكون له شرف الاستيلاء على الجزائر، ليحقق ذلك أهدافه السياسية والإستراتيجية في المغرب العربي[2].

وصل أسطول المتحالفين الأوروبيين أمام مدينة الجزائر في 20 تشرين الأول عام 1541م واتخذ من منطقة وادي الحراش اليسرى الواقعة شرقي الجزائر مقرًا له، وفي هذه الأثناء جمع حسن آغا أعيان وكبار رجال الدولة في البلاد، وحثهم على الجهاد والدفاع عن البلاد قائلاً لهم: "... لقد وصل العدو إليكم ليسبي أبناءكم وبناتكم، فاستشهدوا في سبيل الدين الحنيف، هذه الأراضي فتحت بقوة السيف، ويجب الحفاظ عليها وبعون الله النصر حليفنا، نحن أهل الحق..." فاستجاب له الكثير من سكان البلاد، ثم أخذ حسن آغا في إعداد جيشه لخوض المعركة[3].

---

[1] فارس مُحَمَّد خير: **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي**، مطابع الف باء، دمشق، 1969م، ص36.

[2] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص101.

[3] علي مُحَمَّد مُحَمَّد الصلابي: **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2001م، ص271.

وفي هذه المعركة برزت شخصية "الحاج بشير" الذي كان له الدول الجهادي في قيادة القوات الجزائرية إحراز النصر في هذه المعركة، ومن جهة أخرى هبت عاصفة شديدة وأمطار غزيرة كانت السبب في تحطيم أغلب سفن الإسبان، وجرفت خيمهم ومؤنهم في البحر، فضلاً عن قتلها العديد من الجند وإغراقهم من على سفنهم؛ بل ساعدت هذه العاصفة عددًا من أسرى المسلمين كانوا يعملون مجذفين على السفن الإسبانية من الهرب، ومقاتلة الأعداء وهكذا ساعدت العاصفة على فشال الهجوم الإسباني على الجزائر[1].

وفي أثناء ذلك وصل أسطول خير الدين باشا لنجدة الجزائر ومساعدة أهلها وخليفته حسن آغا، إلا أنه كان قد وصل متأخرًا، علمًا أن خير الدين باشا بربروسا كان قد أعد منذ معرفته باستعداد إسبانيا لغزو الجزائر أسطولاً مؤلفًا من 100 سفينة ليوجه نصفها نحو شواطئ إفريقية، يوجه النصف الآخر ضد الأسطول الإسباني، إلا أن رجال الديوان السلطاني لم يوافقوا في بداية الأمر على تخطيطه هذا لأنهم رأوا عدم إمكانية إرسال مثل هكذا عدد من سفن الأسطول إلى ولاية الجزائر والدولة العثمانية في حال حرب، لكنهم في الوقت ذاته وعدوا خير الدين باشا بإرسال المدد بسرعة عند وصول الأعداء بالقرب من ولاية الجزائر، وما أن سمعوا بوصول الحملة بالقرب من ولاية الجزائر حتى تحرك أسطول خير الدين باشا بربروسا نحو ولاية الجزائر مع تعزيزات كان قد بعثها السلطان سليمان القانوني إلى أهالي الجزائر تقوية لموقفهم، لكن خير الدين باشا بربروسا كان قد وصل بعد انتهاء المعركة وانسحاب أسطول الإمبراطور[2].

كانت هذه الحملة هي آخر مشاريع الإمبراطور شارل الخامس ضد السواحل الجزائرية، وعلى أثرها أصبحت الجزائر في نظر وروبا تلك المدينة التي لا تقهر ولا يمكن غزوه، وأعطت للجزائريين شعورًا قويًا بالمنعة والبأس، وقد وصف الشيخ حسن بن رجب شاويش في تاريخه المختصر عن باشوات وعلماء الجزائر، وهو عبارة عن مخطوطة جزائرية، وضع الجزائر بعد الحملة بقوله: "...وفرج

---

[1] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص102.

[2] رابحة محمد خضير عيسى الجبوري: مرجع سابق، ص154.

الله تعالى عنهم، وفرح أهل الجزائر بهذا النصر العظيم.. وبقيت الزائر كالعروس تختال في حليها وحللها من رخاء الأسعار وأمن الأقطار، ولم يبق لهم عدو يخافون منه وشاعت هذه القضية في مشارق الأرض ومغاربها وبقي رعب المسلمين في قلوب أعداء الدين مدة من الزمن بأمر الملك المنان..." [1].

أما بالنسبة إلى حسن آغا فقد تلقى إثر انتصاره هذا تكريمًا من السلطان سليمان القانوني الذي منحه لقب "باشا" لحسن تدبيره ورباطة جأش، وهي المرة الأولى التي يمنح فيها السلطان مثل هذا اللقب لأحد العاملين في ولاية الجزائر[2].

وفي الأخير فإنه من خلال قراءة كاتب تحفة الكبار في أسفار البحار والبحث عن القادة الجزائرية الذي ذكرهم حاجي خليفة من خلاله كتابه نجده يفتقر إلى ذكر واضح ومفصل لأسماء القادة البحريين الجزائريين الذين لعبوا دورًا بارزًا في قيادة الأسطول الجزائري ضمن البحرية العثماني، حيث عرف الأسطول الجزائري العديد من القادة، ونجده أورد بشكل مختصر الأخوين عروج وخير الدين بربروس، وميل الكاتب إلى إبراز الدور المركزي للقيادة العثمانية العامة، مما أدى إلى تقليل أو تجاهل ذكر القادة المحليين الجزائريين، رغم أن لهم دورًا مهمًا في العمليات البحرية،

المبحث الثاني: المقارنة مع الوقائع التاريخية

بمقارنة ما جاء في كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار بالدور الفعلي للجزائر في التاريخ البحري العثماني، نجد أن المصادر العثمانية الأخرى، مثل السجلات الرسمية، تشير إلى أن الجزائر كانت تتمتع باستقلالية نسبية عن الدولة العثمانية، حيث كان لها أسطولها الخاص وقادتها البحريون مثل خير الدين بربروس.

---

[1] رابحة مُحَّد خضير عيسى الجبوري: مرجع سابق، ص154.

[2] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص102.

بعض المؤرخين الأوروبيين مثل فرناند بروديل، يشيرون إلى أن الاسطول الجزائري لم يكن مجرد تابع للدولة العثمانية؛ بل كان قوة بحرية مستقلة ذات نفوذ كبير في البحر المتوسط.

الجزائر لم تكن فقط قاعدة بحرية؛ بل كانت مركزًا إقتصاديًا مهمًا للتجارة البحرية، وهو جانب لا يظهر وضوح في كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار لحاجي خليفة.

يتشابه كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار مع مؤلفات أخرى مثل "فذلكة أقول الأخيار في علم التاريخ والأخبار"، حيث يعتمد على السرد التاريخي المدعوم بالتحليل السياسي والعسكري.

بالرغم من أهميّة الكتاب وغزارة مادته، إلا أنه تسجل عليه بعض المآخذ المتعلّقة بعدم التثبت من الأماكن والحوادث التاريخية الخاصة بالجزائر، ومن ذلك على سبيل المثال: زعمه بأنّ بجاية تقع في نواحي طرابلس[1]، وأن الذي وقع في الأسر لدى فرسان القديس يوحنا بجزيرة رودس هو خير الدين[2]، بينما يصرح هذا الاخير في مذكراته بأن الذي وقع في الأسر هو أخوه عروج[3].

بالإضافة إلى خلطه بين الحفصيين والزيانيين، فقد زعم مثلا بأن أخا السلطان الحفصي لجأ إلى إسبانيا طالبا مساعدته على استرجاع عرشه من السلطان المغتصب له في تلمسان، فأعانه الإسبان بتسهيل استيلائه على تنس، وهذا ينطبق على الأمير الزياني يحي الثابتي الذي أجلسه الإسبان على عرش تنس نكاية في عمه أبي حمو الثاني الذي قاومهم في وهران[4].

كما لوحظ عليه تضخم أرقام الغنائم وأعداد الأسرى والسفن التي غنمها في المعارك الحربية ضد السفن والجيوش المسيحية، وفي مقابل ذلك يتجاهل خسائر العثمانيين البشرية والعسكرية أو

---

[1] أنظر: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص 85.

[2] المصدر نفسه، ص 95.

[3] أنظر: خير الدين بربروس: **مذكرات خير الدين بربروس**، تر: مُحَمَّد دراج، دار طليطلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م، ص23.

[4] أنظر ما أورده كحاجي خليفة في: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص 46.

يقللها، ويؤاخذ على الكتاب أيضًا اعتماده على مصادر أخرى غير المذكرات دون أن يصرح بها[1]. ويتجلى ذلك في تطرقه إلى أحداث وقعت بعد المذكرات التي تنتهي حوادثها عند حملة شرلكان على الجزائر سنة 1541م، ولا شك أنّ عدم ذكر كاتب جلبي لمصادره يربك الباحث ويضطره إلى البحث من جديد على مصادر تلك المعلومات للتأكد من صحتها وتوثيقها[2].

وفي الختام فإنه رغم فإن كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار يتميز بدقة المعلومات حول الحملات البحرية، لكنه يميل إلى تمجيد الإنجازات العثمانية دون التطرق إلى استقلالية الجزائر البحرية بشكل مفصل.

يشير بعض الباحثين إلى أن الكتاب لا يعتمد على مصادر متعددة؛ بل يرتكز على الرواية العثمانية الرسمية، مما قد يؤدي إلى تحيز تاريخي في بعض المواضيع.

رغم ذلك، يبقى الكتاب مصدرًا مهمًا لفهم الإستراتيجية البحرية العثمانية، خاصة عند مقارنته بمصادر أخرى، مثل السجلات الأوروبية والمخطوطات الجزائرية التي توثق دور الجزائر في هذه الحملات.

.

[1] هذه الأرقام من الكثرة بحيث لا يمكن حصرها في هذه الدراسة، ويمكن ملاحظتها بسهولة بمجرد قراءة بضع صفحات من الكتاب.

[2] مُحَمَّد دراج: **الجزائر في المصادر العثمانية دراسة للمصادر ونصوص نموذجية مترجمة من التركية إلى العربية**، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018م، ص ص 136-137.

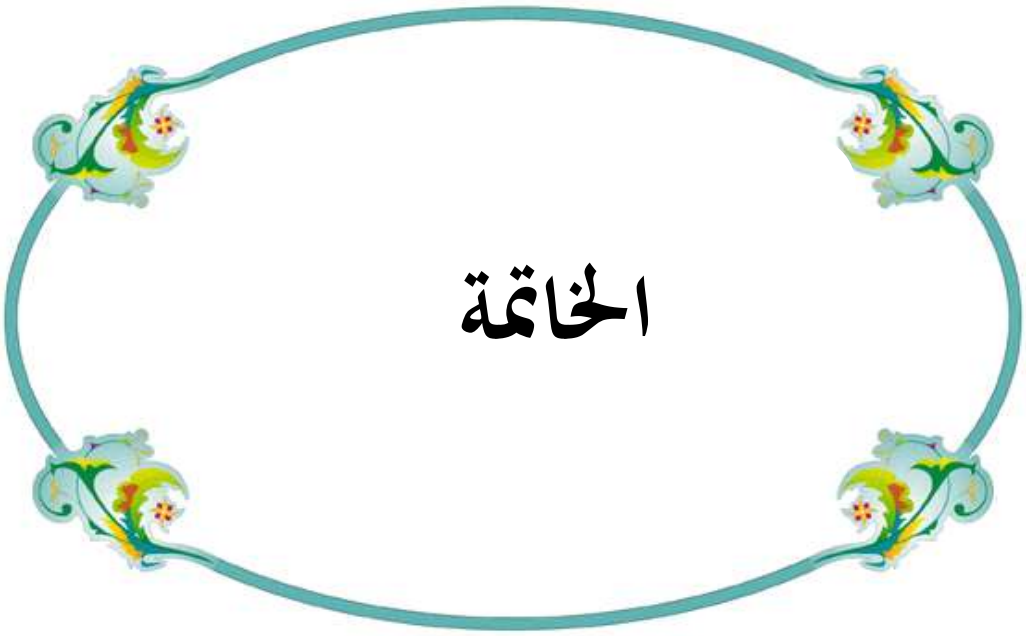

الخاتمة

الخاتمة

ومن خلال أطوار بحثنا في "كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار" لحاجي خليفة، الذي هدف من خلاله إلى معالجة الإخفاقات ذات الأسباب الكثيرة التي تعرض لها الأسطول العثماني، وكان لها أثر سلبي انعكس على جميع المؤسسات العثمانية، حيث عايش المؤلف هذه المعاناة، فأراد أن يشارك من خلال هذا الكتاب في الإصلاح البحرية العثمانية عبر تقديم تحليل تاريخي للحملات البحرية، وتقديم نصائح عملية للبحارة حول كيفية تحسين الأداء البحري والتعامل مع التحديات الملحية ورفع الروح المعنوية لديهم.

ومن الإجابة على الإشكالية الدراسة المطروحة عن موقع الجزائر وحضورها الجغرافي والعسكري ضمن إستراتيجية الدولة العثمانية البحرية في كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار، نجد المؤلف قد خصص لها القسم الثاني من الكتاب للحديث عن الجزائر ليبرز دورها الإستراتيجي للبحرية العثمانية، والتي يمكن تلخيصها في النتائج التالية:

- يُبرز الكتاب دور الجزائر كقاعدة متقدمة للدولة العثمانية في مواجهة الأساطيل الإسبانية والفرنسية، حيث كانت موانئها مثل المرسى الكبير وهران وبجاية نقاط انطلاق للحملات البحرية العثمانية، وقد ساعدت في تأمين السيطرة على غرب البحر المتوسط لفترة طويلة.
- يُشير الكتاب إلى دور الأخوين عرج وخير الدين بربروس، اللذين كان لهما دور محوري في طرد الغزاة الإسبان من السواحل الجزائرية وبناء أسطول بحري قوي تابع للدولة العثمانية، وقادوا الجهاد البحري ضد القوى الأوروبية، وتركوا بصمات واضحة في تاريخ البحرية الجزائرية.
- يصف الدور الهام لمشاركة الجزائر في الحملات البحرية ضد القوى الأوروبية، حيث شاركت في معارك كبرى مثل معركة ليبانت وغيرها من المواجهات التي شكلت جزءًا من الصراع البحري بين العثمانيين والأوروبيين، كما كان للأسطول الجزائري دور في حماية السواحل وتأمين طرق الملاحة، والتصدي لهجمات الغزاة.

- يوضح الكتاب أن الجزائر لم تكن مجرد قاعدة بحرية، بل كانت قوة بحرية ذات استقلالية نسبية، ساهمت في بناء بنية الأسطول العثماني، وأثرت في موازين القوى في البحر المتوسط، مما جعلها هدفًا لهجمات أوروبية متعددة بهدف القضاء على قوتها البحرية.
- يشير الكتاب إلى أن مداخيل الحملات البحرية كانت تصب في خزينة الدولة، وتستخدم في تحصين الثغور وإعداد الحملات العسكرية، مما يميز البحرية الجزائرية عن القراصنة الذين كانوا يعملون بشكل مستقل وغير منظم.

باختصار، كتاب "تحفة الكبار في أسفار البحار" يبرز الجزائر كركيزة أساسية في الحملات البحرية العثمانية، من خلال موقعها الاستراتيجي، وقادتها البحريين، ودورها العسكري والسياسي في مواجهة القوى الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط

وكإقتراحات لأبحاث مستقبلية حول الجزائر في المصادر العثمانية نقترح العناوين التالية:

- رصد صورة الأسطول والبحارة الجزائريين في المصدر الأوروبية والغربية.
- تحليل دور الأسطول الجزائري في الصراع البحري بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية.
- دراسة تأثير القوة البحرية الجزائرية على السياسة الأوروبية تجاه الجزائر.

وفي الأخير، لا يسعني في هدا المقام إلا أن أحمد الله حمدا جزيلا لأن وفقني في إتمام هذا البحث وأرجوا أن لا يكون بالمطول الممل ولا بالملخص المخل وأتمنى أن أكون قد وفقت ولو بالقدر القليل في سبيل إنجاحه، فإن وفقت فمن الله وإن أخطأت فمن أنفسي ومن الشيطان.

الملاحق

الملحق رقم (1): صورة غلاف كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار لحاجي خليفة المستعملة في دراستنا.

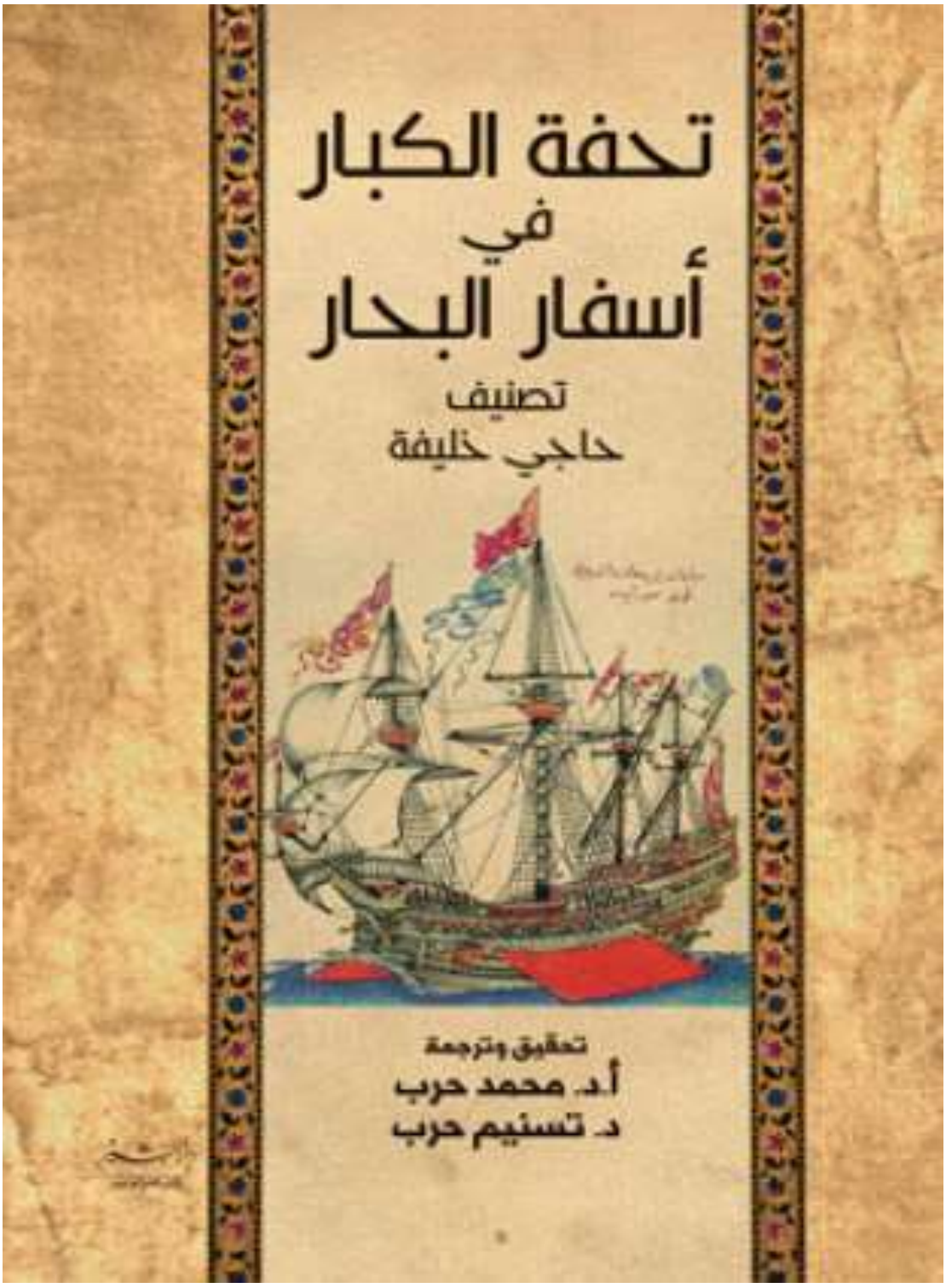

الملحق رقم (2): خريطة الكرة الأرضية كما رسمها حاجي خليفة من خلال كتاب تحفة الكبار[1].

[1] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص 51.

الملحق رقم (3): خريطة العالم كما رسمها حاجي خليفة[1].

[1] حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مصدر سابق، ص 54.

الملحق رقم (4): جدول إحصائي بمعارك الجزائر المذكورة كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار.

السنة الميلادية	القائد الجزائري	الموقع البحري	الطرف المعادي	نتيجة المعركة
1516م	عروج بربروس	الجزائر العاصمة	الإسبان	تحرير الجزائر
1518م	عروج بربروس	تلمسان (برًا وبحرًا)	الإسبان وحلفاؤهم	استشهاد عروج
1529م	خير الدين بربروس	حصن البينيون (الجزائر)	الإسبان	استعادة الحصن
1538م	خير الدين بربروس	معركة بروزة (بريفيزا)	التحالف الصليبي (إسبانيا، البندقية..)	نصر عثماني-جزائري
1541م	حسن باش	الجزائر العاصمة	حملة شلكان (إسبانيا)	هزيمة الحملة الصليبية
1555م	صالح رايس	بجاية	الإسبان	تحرير بجاية
1560م	درغوث باشا	جربة (تونس)	الإسبان + فرسان مالطة	نصر عثماني - جزائري

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

أولا: المصادر:

1. حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، تح وتر: مُحَمَّد حرب وتسنيم حرب، ط1، دار البشير لثقافة والعلوم، د ب، 1438هـ/ 2017م.
2. حاجي خليفة: **سُلم الوصول إلى طبقات الفحول**، إش وتق: كمال الدين إحسان اوُغلى، تح: محمود عبد القادر الأرناؤوط، ط1، شركة يلدز للنشر والإعلام، مج3، اسطانبول، 2010م.
3. حاجي خليفة، **فذلكة أقول الأخيار في علم التاريخ والأخبار "فذلكه التواريخ" تاريخ ملوك آل عثمان**، حقق وقدم له وترجم حواشيه: سيد مُحَمَّد السيد، جامعة جنوب والوادي، كلية الآداب، سوهاج، مصر، د ت.
4. حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مج1، تصحيح: مُحَمَّد شرف الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت.
5. حاجي خليفة: **دستور العمل لإصلاح الخلل**، تصوير الأفكار، استانبول، 1280هـ.
6. بربروس خير الدين: **مذكرات خير الدين بربروس**، تر: مُحَمَّد دراج، دار طليطلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م.

ثانيا: المراجع:

أ) المراجع العربية

1. ابن غلبون أبو عبد الله مُحَمَّد بن خليل الطرابلسي: **التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار**، تح: أمين البحيري، المدار الإسلامي، بيروت، 1998م.
2. الآقحصاري حسن كافي ، **أصول الحكم في نظام العالم**، دراسة وتقديم: إحسان صدقي العمد، هالي للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، 1987م.

3. إيفانوف نيقولاي: **الفتح العثماني للأقطار العربية (1516–1574)**، تر: يوسف عطا الله، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 1988م.

4. بروشين. نيكولاي إيليتش، **تاريخ ليبيا في العصر الحديث من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين**، تر: عماد حاتم، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط2، بيروت، لبنان، 2001م.

5. بنحادة عبد الرحيم: **بحوث ودراسات في التاريخ العثماني**، دار أبي رقراق، الرباط، المملكة المغربية، 2017م.

6. بوعزيز يحي: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، طبعة 1999م.

7. الجبوري رابحة مُحَمَّد خضير عيسى: مرجع سابق، ص127. علي عبد الادر حليمي: **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل عام 1830** ، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، د ت.

8. جودت أحمد باشا: **تاريخ جودت**، تر: عبد القادر افندي الدنا، مطبعة جريدة بيروت، ج1، 1308هـ.

9. جون جوليوس نورويش، **الأبيض المتوسط، تاريخ بحر ليس كمثله بحر**، تر: طلعت الشايب، ط1، دار الكتب المصرية، 2015م.

10. الجوهري يسري: **جغرافية البحر المتوسط**، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1984م.

11. الجيلالي عبد الرحمان: **تاريخ المدن الثلاث (المدية، مليانة، الجزائر)**، ط2، شركة الأمة، الجزائر، 2007م، ص50.

12. جيمس ولسون ستيفن، **الأسرى الأمريكان في الجزائر (1785/1795)**، تر: علي تابليت، دار تالة، الجزائر، 2008م.

13. الخليلي عبد الحي: **علماء الإصلاح بالعالم الإسلامي: حاجي خليفة (1609–1657هـ/1017–1067م)**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، المملكة المغربية، ط1، 2024م.

14. الخيلي عبد الحي: **النخبة والإصلاح: نماذج من الفكر الإسلامي العثماني بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر الميلاديين**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 2014م.

15. الداغستاني مُحَمَّد عبد القادر: **النظرية العسكرية والمذهب العسكري والعقيدة العسكرية**، دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2019م.

16. دراج مُحَمَّد: **الجزائر في المصادر العثمانية دراسة للمصادر ونصوص نموذجية مترجمة من التركية إلى العربية**، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018م.

17. الزركلي خير الدين: **الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمُستعربين والمستشرقين**، ط15، ج7، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، أيَّار/ مايو 2002م.

18. زيادة خالد: **اكتشاف التقدم الأوروبي: دراسة في المؤثرات الأوروبية على العثمانيين في القرن الثامن عشر**، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1981م.

19. السليماني أحمد، **تاريخ مدينة الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت.

20. الشرقاوي أحمد عبد الوهاب: **الأعلام، العثمانيون مختارات من كتاب "سُلم الوصول إلى طبقات الفحول" لـ "حاجي خليفة"**، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، 1440هـ/2019م.

21. الصلابي علي مُحَمَّد مُحَمَّد: **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2001م.

22. عبد القادر نور الدين ، **صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، كلية الآداب الجزائرية، الجزائر، 1385هـ/1965م.

23. العسلي بسام: **خير الدين بربروس والجهاد البحري (1470–1547م)**، دار النفائس، ط1، بيروت، لبنان، 1400هـ/1980م.

24. عمورة عمار: **الجزائر بوابة التاريخ من ما قبل التاريخ إلى غاية 1962م**، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2009م.

25. فارس مُحَمَّد خير: **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي**، مطابع الف باء، دمشق، 1969م.

26. فاضل بيات مهدي: **الدولة العثمانية في المجال العربي، دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا (مطلع العهد العثماني– أواسط القرن التاسع عشر)**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2007م.

27. قواسمية سناء، **الدور العسكري للبحرية الجزائرية خلال عهد الدايات (1671–1830م)**، مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ، تخصص: تاريخ الجزائر الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة مُحَمَّد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، 2024/2023م.

28. متفرقة إبراهيم: **أصول الحكم في نظام الأمم**، دار الطباعة العامرة، استانبول، 1144هـ/1731م.

29. متفرقة إبراهيم: **مقدمة تاريخ نعيما**، دار الطباعة العامرة، استانبول، 1281هـ.

30. المدني أحمد توفيق: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492–1792م**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1965م.

31. وليام سبنسر، **الجزائر في عهد رياس البحر**، تر: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.

ج) المراجع الأجنبية:

1. Adil Sen, İbrahim Müteferrika ve Usûlü'l - Hikem fi Nizami'l - Ümem (Ankara : T Türkiye Diyanet Vakfı Yayınları, 1995).
2. İbrahim Müteferrika, Traité de tactique, tr, Karl Emerich Alexander Reviezkyvon Revisnye, (Vienne : Trattner, 1769).

ثالثًا: الدوريات

1. باروت مُحَّد جمال: "التحول من النظام التيماري إلى نظام الالتزام في لواء طرابلس العثماني"، مجلة أسطور للدراسات التاريخية، دورية مكمة اصدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ومعهد الدوحة، المجلد 03، العدد 02، يناير 2017م.
2. رأفت الشيخ، "تاريخ العرب الحديث"، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، 2005م.
3. رحماني فاطمة الزهراء، دراج مُحَّد، "حاجي خليفة ومنهجه في كتابة التاريخ من خلال مؤلفيه فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار وتحفة الكبار في أسفار البحار"، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، جامعة يحي فارس، المدية، المجلد 01، العدد 02، أكتوبر 2020.
4. زكي مبارك: "الجهاد البحري في الغرب الإسلامي المفهوم الإسلامي والمفهوم المسيحي"، مجلة البحث العلمي، السنة الإحدى والثلاثون، ع 45، جامعة مُحَّد الخامس، الرباط، المملكة المغربي، 1998م.
5. الشافعي درويش: "دور الجزائر في معارك البحر المتوسط خلال القرن 16م (مواجهة المشروع المسيحي)"، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، المركز الجامعي بتندوف، الجزائر، المجلد 05، العدد 02، ديسمبر 2020م.

6. عبد الجليل التميمي: "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م"، المجلة التاريخية المغربية، ع6، يوليو/ تموز 1976م.
7. عبد الحي الخيلي، "المؤرخون العثمانيون وإصلاح الدولة دراسة من خلال المصادر التاريخية"، مجلة أسطور التاريخية، ع13، الدوحة، 2021.
8. مُحَّد دراج: "قراءة منهجية لكتاب تحفة الكبار في أسفار البحار لكاتب جلبي"، مجلة الدراسات التاريخية، ع13، جامعة الجزائر، 02، الجائر، 2011م.
9. هشام سوادي هاشم: "البحرية الجزائرية في القرن السادس عشر من خلال كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار لكاتب جلبي (1608-1656)"، مجلة دراسات تراثية، جامعة الجزائر 02، مج10، عد 1، 2016م.

رابعًا: الأطروحات:

1. رابحة مُحَّد خضير عيسى الجبوري: **موقف القوى الإسلامية من التوسع الأوروبي في المغرب العربي 1492-1578م، دراسة تاريخية**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، 2006م.

خامسًا: مواقع الإنترنت:

1. مُحَّد شعبان أيوب: "**إنقاذ مشوّه متأثر بأوروبا**".. **لماذا جلبت بعض الإصلاحات العثمانية الانقلاب في النهاية؟**، مقال منشور على موقع عربي بوست، بتاريخ 2022/10/13. www.arabipost.net ، تاريخ التصفح، 2025/06/29، الساعة: 21:06.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الإهـــــداء
شكر وعرفان
قائمة المختصرات
مقدمة 1
الفصل الأول: المؤلف والكتاب
المبحث الأول: ترجمة حاجي خليفة وفكره الإصلاحي 7
أولاً: مولده ونشأته 7
ثانيًا: فكره الإصلاحي 13
ثالثًا: مؤلفاته 20
المبحث الثاني: نظرة عامة حول الكتاب وتقسيماته 21
أولاً: نظرة عامة حول الكتاب 21
ثانيًا: تقسيماته 21
ثالثًا: المصادر التي اعتمد عليها حاجي خليفة في الكتاب 22
المبحث الثالث: هدف حاجي خليفة من تأليف الكتاب وأهميته 24
أولاً: هدف حاجي خليفة من تأليف الكتاب 24
ثانيًا: أهمية الكتاب 24
الفصل الثاني: الجغرافيا البحرية العثمانية والجزائر
المبحث الأول: تحليل المعلومات الجغرافية الواردة عن سواحل شمال إفريقيا 28
أولاً: تعيين الأماكن وتصوير الحدود الجغرافية 28
ثانيًا: وصف السواحل والتضاريس البحرية 30
ثالثًا: الأساطيل والفتوحات والمعارك البحرية في البحر المتوسط 31
المبحث الثاني: الجزائر والأسطول العثماني 33
أولاً: دور الجزائر في الحملات البحرية 34

ثانيًا: أعمال الأخوين عروج وخير الدين بربروس: 35
المبحث الثالث: البعد السياسي والعسكري لحضور الجزائر 38
أولاً: الجزائر كقاعدة بحرية عثمانية: 39
ثانيًا: المشاركة في الحملات البحرية: 40
ثالثًا: البعد العسكري والسياسي: 40

الفصل الثالث: تحليل ونقد

المبحث الأول: تقييم مدى حضور الجزائر في الكتاب 43
أولاً: الموقع الجغرافي: 43
ثانيًا: المشاركة في الحملات البحرية: 44
ثالثًا: ذكر القادة الجزائريين: 57
المبحث الثاني: المقارنة مع الوقائع التاريخية 60
الخاتمة 64
الملاحق 63
قائمة المصادر والمراجع : 73
فهرس المحتويات 80
الملخص: 76

فهرس الملاحق

الرقم	عنوان الملحق	الصفحة
1	صورة غلاف كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار لحاجي خليفة المستعملة في دراستنا	64
2	خريطة الكرة الأرضية كما رسمها حاجي خليفة من خلال كتاب تحفة الكبار	65
3	خريطة العالم كما رسمها حاجي خليفة	66
4	جدول إحصائي بمعارك الجزائر المذكورة كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار	67

الملخص:

أثار النشاط الواسع للبحرية الجزائرية في القرن (16م) الذي أخذت يمتد نشاطها شرقا صوب سواحل الشام وصولا إلى السواحل العثمانية، إهتمام المؤرخ العثماني حاجي خليفة، الذي ألف كتابا مهما في تاريخ البحرية العثمانية بعنوان "تحفة الكبار في أسفار البحار"، الذي يُعد من أهم المصادر التي درست وأرخت للبحرية العثمانية ونشاطها في حوض البحر الأبيض المتوسط.

وقد بين الكاتب من خلال كتابه نشاط البحرية الجزائرية ودورها الإستراتيجي للبحرية العثمانية كقاعدة متقدمة للدولة العثمانية في مواجهة الأساطيل الأوروبية، وإلى دور الأخوين عروج وخير الدين بربروس في بناء الأسطول الجزائري وفي الجهاد البحري ضد القوى الأوروبية ويصف الدور الهام لمشاركة الجزائر في الحملات البحرية ضد القوى الأوروبية.

Abstract :

The extensive activity of the Algerian Navy in the 16th century, extending eastward toward the Levantine coast and reaching the Ottoman coast, aroused the interest of Ottoman historian Haji Khalifa, who authored an important book on the history of the Ottoman Navy, entitled "Tuhfat al-Kabir fi Asfar al-Bahar," which is considered one of the most important sources for studying and chronicling the Ottoman Navy and its activity in the Mediterranean basin. Through his book, the author highlights the activity of the Algerian Navy and its strategic role for the Ottoman Navy as an advanced base for the Ottoman Empire against European fleets. He also highlights the role of the brothers Aruj and Hayreddin Barbarossa in building the Algerian fleet and in the naval jihad against the European powers. He also describes the significant role of Algeria's participation in naval campaigns against the European powers.